الإيمان والأعمال

عوض سمعان

All Rights Reserved
جميع الحقوق محفوظة – الرجاء التقيد
أخذت بإذن رسمي من صفحة بيت الله. جميع الحقوق محفوظة لمكتبة الأخوة ولا يجوز إعادة نشر أو طباعة أي من الكتب أو المقالات بأي طريقة طباعية أو إليكترونية أو وضعها على الإنترنت إلا بإذن خاص ومكتوب من الإخوة وصفحة بيت الله. يمكنك أن تحتفظ بالكتب والمقالات للإستخدام الشخصي فقط وليس بهدف بيعها أو المتاجرة بها بأي طريقة كانت ومهما كانت الأسباب.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

الفهرس

1- عقيدة "الخلاص بالإيمان والأعمال"، والكتاب المقدس
(أ) أسباب الاعتقاد بأن الخلاص يكون بالإيمان والأعمال
(ب) خطأ الاعتقاد بأن الخلاص يكون بالإيمان والأعمال

2- الحجج القائلة بأن الخلاص يكون بالإيمان والأعمال
(أ) الآيات الواردة في الرسائل وسفر الرؤيا

(ب) الآيات الواردة في البشائر الأربع

(جـ) الآيات الواردة في العهد القديم

(د) الاعتراضات والرد عليها

3- الحجج القائلة يتوقف الخلاص على العمل بالناموس
4- الحجج القائلة بجواز هلاك المؤمنين الحقيقيين
(أ) الآيات الواردة في البشائر وأعمال الرسل

(ب) الآيات الواردة في الرسائل وسفر الرؤيا

(جـ) الاعتراضات والرد عليها

5- تاريخ الاعتقاد بأن الخلاص يكون بالإيمان والأعمال

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

مقدمة

اتضح لنا من كتاب "طريق الخلاص" أن الإنسان لا يستطيع أن يخلص نفسه من قصاص خطاياه، أو يجعلها أهلاً للتوافق مع الله في صفاته السامية بواسطة ما يقوم به من أعمال صالحة. لأن الخطايا التي يأتيها هي إساءة إلى حق الله، والأعمال الصالحة لا تستطيع أن تمحو هذه الإساءة، إذ أن الأعمال المذكورة مهما كثرت، هي محدودة في قدرها، بينما حق الله الذي أسيء إليه بسبب الخطايا لا حد لقدره، والأشياء المحدودة في قدرها لا تستطيع أن تفي مطالب أمر لا حد لقدره. ومن جهة أخرى، لأن الأعمال الصالحة مهما كثرت، لا تستطيع أن تحرر الإنسان من سلطة الخطية الكامنة في نفسه وتجعله أهلاً للتوافق مع الله في صفاته الأدبية السامية، إذ أن سقوط الإنسان في الخطية أورثه قصوراً ذاتياً جعله عاجزاً عن هذا التوافق بقدرته الذاتية. ومن ثم فإن الخلاص من قصاص الخطية لا يكون إلا بكفارة المسيح، لأنها هي التي وفت مطالب عدالة الله إلى الأبد، وأن القدرة على التوافق مع الله في صفاته المذكورة، لا يكون إلا بحياة المسيح الروحية في النفس، لأنه هو الذي بسبب كماله المطلق يستطيع أن يسمو بها إلى درجة التوافق مع الله، ولذلك لا يكون الخلاص من قصاص الخطية والتوافق مع الله بمجهود الإنسان بل بفضل الله، ويكون السبيل للتمتع بهذين الامتيازين، هو قبول المسيح في النفس، أو بالحري الإيمان الحقيقي بشخصه.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

لكن الذين لا يعرفون هذه الحقيقة يقولون إن الإيمان مهما كان حقيقياً، ليس بكاف للحصول على الخلاص، بل يجب أن تضاف إليه الأعمال الصالحة. ويرجع السبب في ذلك إلى اعتقادهم أن هناك آيات كتابية وحججاً عقلية تدل على ذلك.

ولما كان موضوع الخلاص من قصاص الخطية والتوافق مع الله في صفاته الأدبية السامية أعظم الموضوعات أهمية، لأنه جوهر الكتاب المقدس وخلاصته، جمع الكاتب الآيات والحجج التي يعتمد عليها القائلون "بأن الخلاص يكون بالإيمان والأعمال" وناقشها بكل إخلاص وتدقيق في هذا الكتاب، حتى تظهر الحقيقة بكل وضوح وجلاء.

ولا يفوت الكاتب في هذه المقدمة أن يسجل شكره للأساتذة الذين عاونوه في دراسة المراجع اليونانية التي احتاج إليها في كتابه. جزى الله الجميع خير الجزاء – والله هو القادر أن يرافق هذا الكتاب بنعمته، لأجل مجده وخير الراغبين في معرفة السبيل إلى خلاصه.

المؤلف[1]

[1] – ملاحظة – إيراد هذا الكتاب، مثل إيراد الكتب الأخرى التي يصدرها الكاتب، يخصص بأكمله للأعمال الخيرية.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

1
عقيدة "الخلاص بالإيمان والأعمال" والكتاب المقدس

أولاً – أسباب الاعتقاد بأن الخلاص يكون بالإيمان والأعمال

إذا رجعنا إلى كتب الذين يعتقدون أن الخلاص يكون بالإيمان والأعمال معاً، نرى أن السبب في اعتقادهم هذا، يرجع إلى فهم بعض الموضوعات الواردة في الكتاب المقدس فهماً يختلف عن المقصود منها، لذلك نستعرض فيما يلي هذه الموضوعات، لنرى الغرض الحقيقي منها:

1- ثمن الخلاص: إن "الخلاص بالإيمان" الوارد في الآية "لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان، وذلك ليس منكم، هو عطية الله" (أفسس 2: 8)، وغير ذلك من الآيات[1]، ليس معناه أن الإيمان هو ثمن الخلاص، حتى كان يجوز القول إن قيمته أقل من قيمة الخلاص، ومن ثم يجب إضافة الأعمال الصالحة إليه، بل معناه أن الإيمان هو الوسيلة التي ننال بها هذا الخلاص، لأن ثمن الخلاص هو دم المسيح دون سواه. فقد قال الوحي للمؤمنين "اشتريتم بثمن" (1 كورنثوس 6: 20)، وإن هذا الثمن هو "دم المسيح" (1 بطرس: 18 – 19).

وإن كان ذلك كذلك، فإن الإيمان لا يزيد عن كونه الثقة القلبية (أو بالحري حالة الاستقبال الروحية) التي تهيئنا للحصول على الخلاص الذي أحسن الله به إلينا

[1] – مثل "آمن بالرب يسوع المسيح، فتخلص أنت وأهل بيتك" (أعمال 16: 31) و"الذي يؤمن به (أي بالمسيح) لا يدان" (يوحنا 3: 18) و "إن اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصت" (رومية 10: 9).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

على أساس دم المسيح – والفقير الذي يمد يده إلى ثري كريم واثقاً أنه سيحصل منه على إحسان ما، لا يدفع بمد يده أو بثقته ما يعادل الإحسان الذي سيناله منه، بل يتناوله هبة مجانية لا أكثر ولا أقل، ومن ثم يكون الفضل كله لهذا الثري الكريم، وهكذا الحال معنا، فإننا عندما نتناول الخلاص من الله بالإيمان، لا نكون قد دفعنا ثمن هذا الخلاص، بل نكون قد تناولناه هبة مجانية منه تعالى، ومن ثم يكون الفضل وكل الفضل له.

ولزيادة الإيضاح نقول: كما أن الهدايا والهبات تعطى مجاناً مع أنها في ذاتها لها ثمن، وربما ثمن عظيم، هكذا الخلاص، فمع أنه كلف المسيح ثمناً لا قدرة لنا على الإحاطة به، قد وهبه الله لنا مجاناً، وذلك لسببين: (الأول) إننا لا نستطيع أن ندفع جزءاً يسيراً من ثمن الخلاص، لأن الأعمال الصالحة التي نقوم بها لا تستطيع أن تكفر عن خطية واحدة من خطايانا، إذ أن هذه الأعمال كما ذكرنا في المقدمة، محدودة في قدرها، بينما حق الله الذي نسيء إليه بسبب أي خطية من الخطايا، لا حد لقدره؛ والأشياء المحدودة في قدرها لا تستطيع أن تفي مطالب أمر لا حد لقدره. (الثاني) إن الله قصد بالخلاص إحساناً لنفوسنا، والإحسان إذا كنا نقدم شيئاً في سبيل الحصول عليه، لا يكون إحساناً. ومن ثم عندما نحصل عليه بالإيمان (أو بالحري بالإيمان الحقيقي)[1]، لا نكون قد دفعنا ثمناً له، بل نكون قد تناولناه هبة مجانية من إلهنا الذي

[1] – الإيمان الحقيقي هو قبول المسيح في النفس قبولاً تولد به النفس من الله ولادة روحية، تحصل بها على طبيعة جديدة تجعلها أهلاً للتوافق معه في صفاته الأدبية السامية. أما مجرد الاقتناع العقلي برسالة المسيح أو

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

يفيض قلبه بالحب والعطف من نحونا. فقد قال الرسول "أما هبة الله فهي حياة أبدية بالمسيح يسوع ربنا" (رومية 6: 23).

وإذا كان ذلك كذلك، فليس هناك شخص مسيحي يعرف فساد الطبيعة البشرية العتيقة الكامنة في نفسه، وشناعة الخطايا التي تصدر منها من وقت لآخر (سواء بالفعل أم بالفكر)، ومقدار العيوب التي تلطخ بها هذه الطبيعة معظم الأعمال الصالحة[1] التي يحاول القيام بها، يمكن أن يخطر بباله أن يضع هذه الأعمال جنباً إلى جنب مع دم المسيح الكريم، ويطلب من الله أن يعفو عنه ويقبله في حضرته لأجل استحقاقهما معاً لأن من يتصرف هذا التصرف، يقلل من شأن دم المسيح ويجعله غير كاف للخلاص، أو يرفع من شأن أعماله التي يدعوها صالحة، لكي يكون لها قدر عظيم بجانب دم المسيح، أو (إن جاز التعبير) يرتدي أوراق الشجر فوق قميص الجلد الذي صنعه الله لستر عيوبنا، حتى يعلن أمام الملأ اجتهاده الشخصي في زيادة ستر

الاعتراف الشفوي بها فهو إيمان اسمي لا قيمة له لدى الله – وقد تحدثنا عن هذا الموضوع بالتفصيل في كتاب "طريق الخلاص".

[1] – وهذه العيوب كثيرة، نذكر منها: التعرض للانشغال بأمور الدنيا أثناء العبادة والصلاة، أو السقوط في خطية بالفكر أو الفعل أثناء الصوم والاعتكاف، أو القيام بالأعمال الصالحة لأغراض شخصية مثل الحصول على مديح من الناس، أو ثواب من الله، أو .. أو ... وأشعيا النبي الذي رأى هذه العيوب، قال لله "وقد صرنا كلنا كنجس، وكثوب عدة (ليس أعمال شرنا فحسب، بل وأيضاً) كل أعمال برنا" (أشعيا 64: 6). ومن البديهي أن يكون الأمر كذلك، لأنه إذا كان الإنسان خاطئاً بطبيعته، فإن كل ما يصدر منه يكون ملوثاً بالخطية، مثله في ذلك مثل عين الماء. فإنها إذا كانت قذرة، يكون الماء الذي يجري منها قذراً أيضاً.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

عيوبه والظهور بمظهر من الكمال لا يستطيع (حسب رأيه) أن يحققه له قميص الجلد وحده، الأمر الذي لم يكن يخطر ببال آدم أو غير آدم على الإطلاق (تكوين 3: 1 – 8) ومن ثم فإن إضافة الأعمال التي ندعوها الصالحة، إلى دم المسيح للحصول على الخلاص، إهانة بالغة للمسيح، وخطية قائمة بذاتها إلى جانب الخطايا الأخرى التي تصدر منا في بعض الأحيان.

2- ماهية الحياة الأبدية: إن الحياة الأبدية الواردة في الآية "من يؤمن بالابن فله حياة أبدية" (يوحنا 3: 36) وغير ذاك من الآيات[1]، ليست متعة جسدية من طعام وشراب وما شاكلهما من متع (اقرأ رومية 14: 17، ومتى 22: 30)، أو متعة روحية لا علاقة لها بحالة نفوسنا الباطنية، سوف نحصل على أيهما بعد انتقالنا من العالم الحاضر كما يعتقد بعض الناس، حتى كان يجوز القول إن الحياة الأبدية هي مكافأة عن الأعمال الصالحة التي نقوم بها في هذا العالم، بل هذه الحياة، هي حياة الصلة بالله، ولذلك فهي امتداد للحياة الروحية التي يهبها الله لنا ونحن على الأرض بواسطة الإيمان الحقيقي بالمسيح، ويجعلنا بها أهلاً للتوافق معه والتمتع به[2]. وكل ما في

[1] – مثل "هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية" (يوحنا 3: 16)، وإن من يؤمن بالمسيح ولو مات فسيحيا، وإن كان حياً وآمن به فلن يموت إلى الأبد (يوحنا 11: 25).

[2] – وقد أشار المسيح إلى هذه الحياة فقال "وأما أنا فقد أتيت لتكون لهم حياة، وليكون لهم أفضل" (يوحنا 10: 10). كما أشار إليها بطرس الرسول فقال عن الله "كما أن قدرته الإلهية قد وهبت لنا (وليس سوف تهب لنا) كل ما هو للحياة والتقوى، بمعرفة الذي دعانا بالمجد والفضيلة الذين بهما قد وهب لنا (وليس سوف يهب لنا)

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

الأمر أننا عندما ننتقل إلى السماء، نستطيع التمتع بالله بواسطة هذه الحياة تمتعاً لا يشوبه نقص على الإطلاق، لأننا نكون قد تحررنا من جسد الخطية والشيطان والعالم جميعاً. وإذا كانت الحياة الأبدية هي امتداد للحياة الروحية التي نحصل عليها بالإيمان الحقيقي في الوقت الحاضر، فطبعاً لا تكون مكافأة عن الأعمال الصالحة بأي حال من الأحوال.

3- موقف المؤمنين الحقيقيين إزاء الأعمال الصالحة: إن الخلاص بواسطة الإيمان دون الأعمال، الوارد في الآية "وأما الذي لا يعمل لكن يؤمن بالذي يبرر الفاجر، فإيمانه يحسب له براً" (رومية 4: 5)، وغير ذلك من الآيات[1]، لا يفسح المجال أمام المؤمنين الحقيقيين لعمل الشر أو الإقلال من عمل الخير، كما يعتقد القائلون

المواعيد العظمى والثمينة، لكي تصيروا بها (الآن) شركاء الطبيعة الإلهية (الأدبية) هاربين من الفساد الذي في العالم بالشهوة" (2 بطرس 1: 3 – 4) والرسول الذي اختبر هذه الحياة في نفسه قال " إن ناموس روح الحياة في المسيح قد اعتقني من ناموس الخطية والموت" (رومية 8: 2). كما قال "مع المسيح صلبت، فأحيا لا أنا، بل المسيح يحيا فيَّ" (غلاطية 2: 20)

مما تقدم يتضح لنا (أولاً) أن الحياة التي يعطيها الله لنا بواسطة الإيمان الحقيقي ليست مجرد قوة روحية، إذا أحسنا استخدامها نحصل على الحياة الأبدية، وإذا لم نحسن استخدامها لا نحصل على هذه الحياة، بل إنها الحياة الأبدية بعينها. لأنها مرتبطة بالمسيح الذي ارتبطنا نحن به، والمسيح هو الإله الحق والحياة الأبدية (1 يوحنا 5: 20). (ثانياً) إن الذين لا يحصلون على هذه الحياة في العالم الحاضر، لا يمكن أن يحصلوا عليها في العالم الآخر على الإطلاق، لأن الوقت الحاضر هو الوقت الذي يمكن للمرء أن يتوب فيه عن الخطية، ويولد من الله بالإيمان الحقيقي ولادة تؤهله للتوافق معه إلى الأبد.

[1] – مثل "إذاً نحسب أن الإنسان يتبرر بدون أعمال الناموس" (رومية 3: 27 – 28) و "متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح" (رومية 3: 24).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

بالإيمان والأعمال. لأن هؤلاء المؤمنين مولودون من الله (1 بطرس 1: 3)، وحاصلون على طبيعته الأدبية كما ذكرنا في هامش سابق، ولذلك فهم لا يكرهون الشر فحسب، بل ويسعون بتأثير الروح القدس في نفوسهم إلى القيام بكل الأعمال الصالحة التي يستطيعون القيام بها. غير أنهم لا يقومون بهذه الأعمال لكي يخلصوا من دينونة خطاياهم، بل لكي يمجدوا الله الذي خلصهم من هذه الدينونة [وذلك تنفيذاً لقول المسيح "لكي يروا أعمالكم الحسنة، ويمجدوا أباكم الذي في السموات" (متى 5: 16)]، إذ أن دينونة خطايانا قد حملها المسيح بأسرها على الصليب (1 بطرس 2: 24)، ولم يبق لنا منها شيئاً لنتحمله نحن. ومن البديهي أن يكون الأمر كذلك، لأنه لو ترك المسيح لنا خطية واحدة، لما استطعنا أن نكفر عنها بكل أعمالنا الصالحة، ولكان مصيرنا جميعاً إلى جهنم النار تبعاً لذلك.

كما أننا إذا قارنا بين الأعمال الصالحة التي يعملها المؤمنون الحقيقيون لأجل تمجيد الله، وبين تلك التي يعملها المؤمنون بالاسم لأجل الحصول (كما يعتقدون) على الخلاص، يجد أن الأولى أسمى من الثانية وأفضل منها بما لا يقاس، إذ فضلاً عن أن العامل في الأولى هو الله نفسه (فيلبي 2: 13)، الأمر الذي يجعلها طاهرة نقية، وأن العامل في الثانية هو الطبيعة البشرية، الأمر الذي يجعل أعمالها الصالحة ملطخة بالشوائب كما ذكرنا في هامش سابق، فإن الأعمال الأولى يقدمها المؤمنون الحقيقيون لله كصدى لمحبته السامية التي سبق وأحبهم بها، ولذلك فإنهم لا ينتظرون من ورائها مكافأة أو جزاء، أما الثانية فهي أعمال يقوم بها المؤمنون بالاسم رغبة في كسب

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

الصفح والغفران (كما يعتقدون)، ولذلك فهي أعمال تجارية يقفون بها إزاء الله موقف الند أمام الند، وكأنهم يقولون لله "خذ وهات"، الأمر الذي يجرد الأعمال الصالحة التي يقومون بها من كل أثر للصلاح يمكن أن يبقى فيها، لأنهم بتصرفهم هذا يتجاهلون حقيقة ذواتهم كبشر مجبولين من تراب الأرض لا حول لهم ولا طول، كما يتجاهلون فضل الله الذي لا حد له عليهم وعلى غيرهم من الناس – هذا الفضل الذي لا يمكن لهم جميعاً مهما ضحوا بأعز وأغلى ما لديهم، أن يكافئوا الله بما يتناسب مع ذرة واحدة منه.

4- نوع البر الذي يتمتع به المؤمنون الحقيقيون أمام الله: إن التبرير بالإيمان الوارد في الآية "فإذ قد تبررنا بالإيمان، لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح" (رومية 5: 1) وغير ذلك من الآيات[1]، وليس معناه أن المؤمنين الحقيقيين يصبحون كاملين أو أبراراً في طبيعتهم، بل معناه أنهم يحسبون كاملين أو أبراراً في المسيح وبواسطته، فقد قال الوحي "وأما الذي لا يعمل (شيئاً كثمن للخلاص)، ولكن يؤمن (إيماناً حقيقياً بالمسيح) الذي يبرر الفاجر، فإيمانه يحسب له براً" (رومية 4: 5). ولذلك فإن هذا البر لا يكون براً ذاتياً بل براً اكتسابياً فحسب، لأنه لم يعمل بواسطة المؤمنين الحقيقيين، بل عمل بواسطة الله في المسيح، ثم أعطى لهؤلاء المؤمنين هبة مجانية. وقد أشار الوحي

[1] – مثل "ولكن اغتسلتم بل تقدستم بل تبررتم باسم الرب يسوع وبروح إلهنا" (1 كورنثوس 6: 11) و "لأن غاية الناموس هي البر لكل من يؤمن" (رومية 10: 4) وأن بالمسيح "يتبرر كل من يؤمن" (أعمال 13: 28 – 29).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

على هذه الحقيقة، فقال "ظهر بر الله .... بالإيمان بيسوع المسيح إلى كل ، وعلى كل الذين يؤمنون" (رومية 3: 21).

ولإيضاح معنى البر الاكتسابي نقول: كما أن الخطايا التي حسبت على المسيح عندما كان معلقاً على الصليب، هي خطايانا نحن وليس خطايا ذاتية له، كذلك ما يحسب لنا نحن المؤمنين من بر، هو بر الله في المسيح وليس براً ذاتياً لنا. فنحن بالإيمان بالمسيح لا نصير إذاً أبراراً في ذواتنا أو طبيعتنا، بل نحسب فقط أبراراً بسبب وجودنا في المسيح[1]، وحصولنا على طبيعته الأدبية بالولادة الروحية من الله، ولذلك قال داود النبي في تطويب الإنسان الذي يحسب له براً بدون أعمال "طوبى للذين غفرت آثامهم وسترت خطاياهم، طوبى للرجل الذي لا يحسب له الرب خطية، (رومية 4: 6 – 8)

فشخصية المؤمنين الحقيقيين القديمة التي كانوا فيها تحت الدينونة بسبب الخطية الأصلية والخطايا الفعلية، قد نزعت عنهم شرعاً من أمام ا لله، لأن المسيح أخذها على نفسه بقبوله الصلب نيابة عنهم، وصارت لهم عوضاً عنها شخصيته البارة التي لا عيب فيها على الإطلاق، وذلك بقيامته من الأموات، لأنه أسلم من أجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا (رومية 4: 5) – وطبعاً ليست هناك وسيلة غير هذه يمكن أن نتبرر بها أمام الله، لأننا جميعاً خطاة إن لم يكن بأعمالنا فطبيعتنا وأفكارنا. فقد قال الوحي

[1] – "الوجود في المسيح" كما يتضح من (أفسس 1: 3 – 7، 2: 6) يراد به اختفاء المؤمنين معنوياً في المسيح، بدرجة لا يظهر منهم أو من أعمالهم شيء، ويكون الظاهر من جهتهم أمام الله هو المسيح وحده. ولإيضاح هذه الحقيقة نقول: إذا وضع إنسان يداً مشوهة له في قفاز جميل (مثلاً)، يختفي تشويهها ولا ينفر أحد منه – وهكذا الحال معنا من جهة كوننا في المسيح، فإنه يستر عيوبنا ويخلع علينا كماله الذي يفوق كل كمال.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

"الجميع زاغوا وفسدوا معاً، ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد" (رومية 3: 12). ومن ثم ليس هناك مجال أمامنا للتبرر أمام الله، إلا بالبر الاكتسابي الذي خلعه المسيح علينا.

5- مدى تأثير كفارة المسيح: إن المسيح لم يكفر بموته على الصليب عن خطية آدم وحده كما يعتقد القائلون بالإيمان والأعمال. بل وكفر أيضاً عن كل خطايا المؤمنين الشخصية. فمن جهة تكفيره عن خطية آدم، قال الوحي عن المسيح إنه "يرفع خطية العالم" (يوحنا 1: 29)، وإنه "حمل خطية كثيرين[1]" (أشعيا 53: 12). ومن جهة تكفيره عن خطايا المؤمنين الشخصية، قال الوحي عن المسيح إنه "أسلم من أجل خطايانا" (رومية 4: 5) وإنه مات من أجل خطايانا" (1 كورنثوس 15: 10) وإنه "بذل نفسه لأجل خطايانا" (غلاطية 1: 4) وإنه "صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا" (عبرانيين 1: 13) وإنه "حمل هو نفسه خطايانا" (1 بطرس 2: 44) وإنه "كفارة لخطايانا" (1 يوحنا 2: 2) وإنه "تألم مرة واحدة من أجل الخطايا" (1 بطرس 3: 18). وقال للناس توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا" (أعمال 2: 38) وإن "كل من يؤمن به ينال باسمه غفران الخطايا" (أعمال 10: 43) وإنه "غفرت لكم الخطايا من أجل اسمه" (1 يوحنا 2: 12) وإن الله

[1] – مما تجدر الإشارة إليه، أن "الخطية" يراد بها في الكتاب المقدس "الخطية التي نشترك نحن جميعاً فيها، أو بالحري الطبيعة العتيقة الخاطئة التي ورثناها عن آدم". أما كلمة "الخطايا" فيراد بها "النتائج الرديئة لهذه الطبيعة، سواء أكانت هذه النتائج بالفكر أم بالفعل"

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

سامحكم "بجميع الخطايا" (كولوسي 2: 13) وإنه "يطهرنا من كل خطية" و "يغفر خطايانا ويطهرنا من كل إثم" (1 يوحنا 1: 7 – 10) – وكلمات "الخطايا" بالجمع، و "كل خطية"، و"كل إثم" بدون قيد ما، الواردة في هذه الآيات، لا يراد بها طبعاً خطية آدم بل خطايانا نحن. ومما يثبت هذه الحقيقة ا لأدلة الآتية:

(الأول) استحالة تكرار كفارة ا لمسيح: لو فرضنا أن المسيح مات نيابة عن آدم وحده، بسبب الخطية الواحدة التي أتاها، يكون من الضروري أن يموت كذلك نيابة عن كل واحد منا مرات بعدد الخطايا التي تصدر منه، حتى تغفر له هذه الخطايا. ولكن المسيح لن يقدم نفسه كفارة بعد الصليب بأي شكل من الأشكال، فقد قال الرسول عنه "إنه دخل إلى الأقداس، لا ليقدم نفسه مراراً كثيرة كما كان يفعل رئيس الكهنة ... فإذ ذاك كان يجب أن يتألم مراراً كثيرة منذ تأسيس العالم، ولكنه الآن قد أظهر مرة (واحدة) عند انقضاء الدهور ليبطل الخطية (أو بالحري يمحوها عن المؤمنين الحقيقيين من أمام الله)[1] بذبيحة نفسه" (عبرانيين 9: 24 – 26).

ولذلك إن كان هناك مجال لغفران خطايانا الشخصية، يكون هذا الغفران هو بذات الكفارة التي قدمها المسيح مرة على الصليب وذلك لسببين (أ) إن الله لا يحب آدم وحده بل ويحبنا نحن أيضاً. فمكتوب "هكذا أحب الله العالم (أجمع) حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية" (يوحنا 3: 16).

[1] – ومحوها عن هؤلاء المؤمنين، إن هو إلا توطئة لمحوها من العالم بأسره، وذلك عندما يقضي المسيح على الأشرار قضاء تاماً.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

(ب) إن كفارة المسيح على الصليب لعظمتها التي لا حد لها، لا تكفي فقط للتكفير عن آدم، بل وعن جميع الناس كذلك. فمكتوب عن المسيح "وهو كفارة لخطايانا، وليس لخطايانا فقط، بل ولخطايا كل العالم أيضاً" (1 يوحنا 2: 2).

(الثاني) تكفير المسيح عن نفوسنا، وليس عن خطايانا فحسب: إن المسيح لم يكفر عن خطايانا بالانفصال عن نفوسنا، بل كفر عن نفوسنا بذاتها، لأنها هي التي تستحق القصاص بسبب معاصيها، فقد قال الوحي "مات البار عوضاً عن الآثمة" (1 بطرس 3: 8)، كما قال "الرب فادي نفوس عبيده" (مزمور 34: 22)، أي أنه كفر عنهم أو بالحري عن نفوسهم. وبما أن المسيح كفر عن نفوسنا، فهو لم يكفر عن أجزاء منها تحتوي على عدد خاص من الخطايا، بل كفر عنها بكل ما فيها من خطايا، لأن النفس لا تتجزأ بأي حال من الأحوال.

(الثالث) عدم إفادتنا من كفارة المسيح بشيء، لو كانت عن آدم وحده: لو كانت كفارة المسيح هي عن خطية آدم وحده، لما كانت تعود على واحد من نسله بفائدة ما، ولهلك تبعاً لذلك جميع الناس بما فيهم الرسل والأنبياء، لأنهم جميعاً خطاة مثل غيرهم من البشر، وليس في وسع واحد منهم أن يكفر عن خطية واحدة من خطاياه مهما عمل من أعمال صالحة كما ذكرنا فيما سلف. ويكون مثل كفارة المسيح في هذه الحالة، مثل خدمة خلصت بعض الناس من خطر الموت في منطقة واحدة ثم تركتهم لمثل هذا الخطر في آلاف المناطق، فإنها لا تكون قد خلصتهم أو أبقت على حياتهم. وبما أن الأمر لا يمكن أن يكون كذلك من جهة كفارة المسيح،

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

لأن الوحي يعلن لنا أن كل من يؤمن بالمسيح إيماناً حقيقياً تكون له الحياة الأبدية (يوحنا 3: 16)، إذاً لا بد أن يكون المسيح قد كفر عن خطايا البشر جميعاً، أو بالحري عن نفوسهم جميعاً، وأن كل من يؤمن به إيماناً حقيقياً، تكون له الحياة الأبدية كما أعلن الوحي.

ثانياً ـ خطأ الاعتقاد بأن الخلاص يكون بالإيمان والأعمال

إننا مع تقديرنا للأعمال الصالحة وحثنا لأنفسنا ولغيرنا على القيام بها والإكثار منها، نعلن بناءً على كلمة الله أن هذه الأعمال ليست شرطاً ثانياً مع الإيمان للحصول على الخلاص، بل إن الشرط الأول والأخير الذي وضعه الله أمامنا للحصول عليه هو الإيمان الحقيقي بالمسيح كما ذكرنا فيما سلف. ولكي لا ندع مجالاً للشك أمام أحد من جهة هذه الحقيقة، نذكر فيما بعض الأدلة الكتابية التي تثبت خطأ الاعتقاد بأن الخلاص يكون بالإيمان والأعمال.

1- كفاية كفارة المسيح إلى الأبد: لو كانت الكفارة التي قدمها المسيح على الصليب غير كافية للتكفير عن خطايانا، لكان هناك مجال للظن بوجوب تكميلها أو تكميل خلاصنا بها ببعض الأعمال الصالحة. لكن هذه الكفارة، كما أعلن الوحي، كافية للتكفير عن خطايانا، وليس عن خطايانا فقط، بل وعن خطايا كل العالم أيضاً (1 يوحنا 2: 2)، لأن قيمتها مرتبطة بالمسيح، والمسيح لا حد لقدره على الإطلاق ولذلك قال الوحي عنه إنه "دخل إلى الأقداس بدم نفسه، فوجد (لنا) فداء أبدياً" (عبرانيين 10: 14)، وليس إلى فترة محدودة من الزمن. وقد أشار المسيح إلى كفاية

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

كفارته، فقال قبل نزوله عن الصليب هذه الكلمة الخالدة: "قد أكمل" (يوحنا 19: 3)، وقد صادق الله على هذه الحقيقة، فشق حجاب الهيكل من أعلى إلى أسفل (متى 27: 51) معلناً بذلك أنه على أساس كفارة المسيح يرحب في حضرته بالخطاة الذين يتوبون عن خطاياهم ويؤمنون بالمسيح إيماناً حقيقياً. وإذا كان الأمر كذلك، فلا يمكن أن يكون خلاصنا الأبدي (أو جزء من هذا الخلاص، إن كان يتجزأ) متوقفاً على شيء من الأعمال الصالحة التي تقوم بها – وانشقاق حجاب الهيكل من أعلى إلى أسفل، وليس من أسفل إلى أعلى (أو بالحري من جانب الله وليس من جانبنا) دليل واضح على الحقيقة المذكورة.

2- الحياة الأبدية هبة وليست أجرة: إن الوحي يعلن لنا أن الحية الأبدية هي هبة من الله فقد قال "وأما هبة الله فهي حياة أبدية بالمسيح يسوع ربنا". (رومية 6: 23)، وما دامت الحياة الأبدية هي هبة من الله، لا يكون الحصول عليها متوقفاً على الأعمال الصالحة. ولذلك إذا رجعنا إلى الكتاب المقدس نرى أنه، وإن كان يحرضنا على القيام بالأعمال الصالحة ويعدنا بالمكافأة الطيبة عنها[1] لكن ينفي فكرة توقف الخلاص الأبدي (أو جزء منه، إن كان يتجزأ) على هذه الأعمال نفياً باتاً. فقد قال "لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان وذلك ليس منكم، هو عطية الله. ليس من أعمال

[1] – وهذه المكافأة، كما يتضح مما يلي، هي الأكاليل التي يعطيها الله للمؤمنين الذين يخدمونه ويضحون لأجل اسمه، وذلك بالإضافة إلى الحياة الأبدية، لأن هذه الحياة هي هبة منه على أساس كفارة المسيح، وليست أجراً عن عمل من الأعمال الصالحة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

كي لا يفتخر أحد" (أفسس 2: 9)، لأنه لو كان الخلاص بالأعمال لما كان بالنعمة، وما دام بالنعمة كما تنص هذه الآية، لا يكون بعد بالأعمال. وقد أشار الرسول بوضوح إلى هذه الحقيقة فقال "فإن كان (الخلاص) بالنعمة، فليس بعد بالأعمال، وإلا فليست النعمة بعد نعمة" (رومية 11: 6). وقال أيضاً "فأين الافتخار؟ قد انتفى. بأي ناموس: أبناموس الأعمال؟ كلا، بل بناموس الإيمان[1]. إذا نحسب إن الإنسان يتبرر بدون أعمال الناموس" (رومية 3: 27 – 28). وأيضاً "أما الذي يعمل (شيئاً كثمن للخلاص) فلا تحسب له الأجرة (أي الخلاص) على سبيل نعمة، بل على سبيل دين (أي أن هذا الإنسان يجعل الله مديناً له بالخلاص، وليس منعماً أو متفضلاً به عليه، الأمر الذي يتعارض مع الحق الإلهي كل التعارض)، أما الذي لا يعمل (شيئاً كثمن للخلاص)[2] ولكن يؤمن بالمسيح الذي يبرر الفاجر، فإيمانه يحسب له براً" (رومية 4: 4 – 5). وأيضاً "متبررين مجاناً (أو بالحري بدون أي مقابل من جانبكم) بنعمته

[1] – عبارة "ناموس الإيمان" لا يراد بها أن الإيمان له ناموس خاص مثل ناموس العهد القديم، يفرض على المؤمنين القيام بأعمال خاصة وإلا تعرضوا للعذاب الأبدي، بل يراد به مبدأ الإيمان الذي يخلص الله على أساسه كل الخطاة الذين يتوبون عن خطاياهم، ويأتون إليه متكلين بكل قلوبهم على خلاصه الأبدي في المسيح.

[2] – إن الرسول بقوله هذا، لا يعفي المؤمنين الحقيقيين من وجوب القيام بالأعمال الصالحة، بل يحول نظر الخطاة عن هذه الأعمال كوسيلة للحصول على الخلاص، بسبب عدم صلاحيتها للتكفير عن خطية واحدة من الخطايا كما ذكرنا. أما المؤمنون الحقيقيون الذي خلصوا من دينونة الخطية بصليب المسيح، فيجب أن يقوموا بهذه الأعمال بكثرة ووفرة، لكي يمجدوا الله الذي أنعم عليهم بالخلاص.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

بالفداء الذي بيسوع المسيح" (رومية 3: 24). وأيضاً "لا بأعمال في بر عملناها نحن، بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس" (تيطس 3: 5).

3- عدم تحديد الأعمال الصالحة: كما أنه لو كانت الحياة الأبدية تتوقف على الإيمان والأعمال معاً، لكان الوحي قد حدد لنا القدر الذي يجب على كل منا القيام به من كل نوع من الأعمال الصالحة (وليس من جهة الصدقة فحسب)[1]، حتى لا تقل أعمال أي واحد منا عن المستوى العام الذي يتطلبه الله للحصول على الحياة الأبدية. لأنه لا يمكن أن يتركنا الله في هذا الموضوع الخطير إلى حكم الضمير فينا، إذ أن الضمير ليس مقياساً ثابتاً للحكم، وذلك لاختلاف تقديره للأمور من شخص لآخر، بل ومن وقت لآخر في الشخص الواحد، حسب الظروف والأحوال. وبما أن الوحي لم يحدد لنا القدر الذي يجب علينا القيام به من كل نوع من الأعمال الصالحة، وفي الوقت نفسه قلما يوجد مؤمن حقيقي مهما كانت تقواه يستطيع القيام بكل الأعمال الصالحة التي يجب عليه الامتناع عنها، سواء أكانت هذه الخطايا بالفعل أو بالفكر، لذلك فالحياة الأبدية لا يمكن أن تكون مكافأة عن الأعمال الصالحة أو الحياة الكاملة، بل لا بد أن تكون هبة من الله على أساس كفارة المسيح وحدها، كما أعلن الوحي.

[1] – إن المبلغ الذي يخصصه المؤمنون للفقراء والأعمال التي تمجد الله في العالم، يجب ألا يقل عن عشر ما يحصلون عليه من مال (ملاخي 3: 10) – هذا من جهة شريعة العهد القديم. أما من جهة شريعة العهد الجديد، فقد أوصانا الوحي أن نكون كرماء في التوزيع وإن أدى الأمر، علينا أن نبيع ما لدينا ونعطي صدقة (1 تيموثاوس 6: 18، لوقا 12: 33)

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

4- منح الحياة الأبدية في الوقت الحاضر: لو كان الحصول على الحياة الأبدية (أو جزء منها، إن كانت تتجزأ)، يتوقف على شيء من الأعمال الصالحة، لكانت هذه الحياة تعطي لنا بعد انتقالنا من العالم الحاضر، حتى يكون من الممكن تقدير هذه الأعمال ومعرفة ما نستحقه من جزاء عنها. لكن الحياة الأبدية لا تمنح للمؤمنين الحقيقيين بعد انتقالهم من هذا العالم، بل تمنح لهم بمجرد إيمانهم وهم لا يزالون فيه كما ذكرنا فيما سلف. فقد قال المسيح "الحق الحق أقول لكم إن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني، فله (أي له الآن، وليس سوف يكون له في المستقبل) حياة أبدية، ولا يأتي إلى دينونة بل قد انتقل (وليس سوف ينتقل) من الموت إلى الحياة" (يوحنا 5: 24). وقال الرسول بولس "ونحن أموات بالخطايا، أحياناً مع المسيح (وليس سوف يحيينا معه)، وأقامنا معه (وليس سوف يقيمنا معه) وأجلسنا (وليس سوف يجلسنا)[1] معه في السماوات في المسيح يسوع" (أفسس 2: 1 – 10). وقال أيضاً "شاكرين الآب الذي أهلنا (وليس سوف يؤهلنا) لشركة ميراث القديسين في النور. الذي أنقذنا (وليس سوف ينقذنا) من سلطان الظلمة ونقلنا (وليس سوف ينقلنا) إلى ملكوت ابن محبته" (كولوسي 1: 12 – 13). وقال يوحنا الرسول "نحن نعلم أننا قد انتقلنا

[1] – فالمؤمنون الحقيقيون حال كونهم في المسيح، هم في نظر الله أشخاص حلت عليهم دينونة الخطية. فماتوا ودفنوا مع المسيح شرعاً، ثم قاموا بحياة جديدة معه، وجلسوا أيضاً معه في السماويات، ولذلك لا يتعرضون للموت الثاني أو العذاب الأبدي فيما بعد. وقد وضح أحد الكتاب هذه الحقيقة فقال: إن النار التي اشتعلت في مكان وأحرقت ما فيه، لا يمكن أن تشتعل فيما بعد في هذا المكان. وهكذا الحال من جهة دينونة الخطية: فنظراً لأنها وقعت على المسيح عوضاً عن البشر، لا يمكن أن تحل بعد على الذين يتخذونه نائباً عنهم ومخلصاً لهم.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

(وليس سوف ننتقل) من الموت إلى الحياة" (1 يوحنا 3: 14). وقال أيضاً "بهـــذا أظهرت محبة الله فينا، أن الله قد أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لكي نحيا (الآن) به" (1 يوحنا 4: 9)، وقال أيضاً "إن ا لله أعطانا (وليس سوف يعطينا) حياة أبدية، وهذه الحياة هي في ابنه. من له الابن فله (الآن) الحياة، ومن ليس له ابن الله، فليست لـــه الحياة. كتبت هذا إليكم أنتم المؤمنين باسم ابن الله لكي تعلموا أن لكم (الآن) حياة أبدية" (1 يوحنا 5: 11 – 13)، ولذلك لا يمكن أن تكون الحياة الأبدية متوقفـــة على شيء من الأعمال الصالحة بأي حال من الأحوال[1].

وهنا يتساءل بعض الناس: ألا تسند الأعمال الصالحة الإيمان في الحصول على الخلاص، بأي وجه من الوجوه؟ (الجواب) هذا السؤال خطأ في تركيبه، لأن الإيمان ليس ثمن الخلاص أو جزءاً من ثمنه، إذ أن ثمن الخلاص هو دم المســـيح دون ســـواه، ولذلك يجب أن يصاغ السؤال المذكور هكذا: ألا تسند الأعمال الصالحة دم المسيح في الحصول على الخلاص، بأي وجه من الوجوه؟ وأمام هذا السؤال يجيب الســـائل نفسه قائلاً: كلا. لأنه لا يستطيع أن ينكر أن دم المسيح قد حقق كل مطالب عدالة الله إلى الأبد، وأنه طالما قد حققها إلى الأبد، لا تكون ثمة حاجة إلى شيء من الأعمال الصالحة بجانبه، لكي ننال الخلاص أو جزءاً من الخلاص – إن كان الخلاص يتجزأ.

[1] – وحصولنا على الحياة الأبدية في الوقت الحاضر، دليل على أنها هي الحياة الروحية التي ننالها الآن من الله بالإيمان الحقيقي، كما ذكرنا فيما سلف.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

مما تقدم يتضح لنا: (أولاً) إن المسيح ليس طريقاً للخلاص حتى نحتاج إلى طريق آخر معه، بل إنه الطريق الوحيد للخلاص (يوحنا 14: 6)، وكما أن السلم التي رآها يعقوب كان أحد طرفيها يمس الأرض والطرف الآخر يمس السماء (تكوين 28: 12)، ولم تكن هناك حاجة إلى سلم أخرى معها، هكذا الحال مع المسيح، الذي لم يكن هذا السلم إلا رمزاً له (يوحنا 1: 51)، فإنه هو الطريق الوحيد للخلاص والتمتع مع الله في السماء.

(ثانياً) إن من يقول إنه يؤمن بالمسيح، ولكن خلاصه يتوقف على ما يقوم به من أعمال صالحة، يكون مؤمناً بهذه الأعمال وليس مؤمناً بالمسيح، لأن المؤمن بالمسيح يعتمد في خلاصه على المسيح دون سواه.

(ثالثاً) إن من يقول إنه آمن بالمسيح لكن إيمانه ضعيف، ولذلك يرفع من شأنه ببعض الأعمال الصالحة حتى يصبح مقبولاً لدى الله، يكون معتمداً على إيمانه وليس على المسيح،وهذا هو الخطأ بعينه لأن ثمن الخلاص ليس هو الإيمان بل هو دم المسيح، ودم المسيح فيه كل الكفاية للخلاص، ولا يمكن أن تزيد من كفايته كثرة الأعمال الصالحة، أو تقلل من كفايته قلة هذه الأعمال.

ومن ثم فالخلاص الأبدي مضمون لكل مؤمن حقيقي، سواء أكان إيمانه قوياً أم ضعيفاً، لأن الشرط الوحيد في إيمان الخلاص، أن يكون حقيقياً (أو بالحري أن يكون صاحبه حاصلاً على حياة روحية من الله بواسطة الولادة الثانية منه)، أما القوة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

والضعف فأمران يتعرض لهما كل مؤمن حقيقي طالما هو في العالم الحاضر، مثلـــه في ذلك مثل أي كائن حي في الوجود من الناحية الجسدية.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

2
الحجج القائلة يتوقف الخلاص على الإيمان والأعمال

اتضح لنا فيما سلف أن ثمن الخلاص هو دم المسيح وحده، وأن الواسطة للحصول عليه هي الإيمان الحقيقي دون سواه. ومع ذلك فهناك آيات يقول بعض المسيحيين إنها تدل على أن الخلاص يكون بواسطة الإيمان والأعمال معاً، ولذلك رأينا من الواجب أن نفحص هذه الآيات بكل تدقيق، لكي يتضح لنا المعنى الحقيقي لها.

(أولاً) الآيات الواردة في الرسائل وسفر الرؤيا

1- قال يعقوب في رسالته "ألم يتبرر أبونا إبراهيم بالأعمال إذ قدم إسحاق ابنه على المذبح؟ فترى أن الإيمان عمل مع أعماله. وبالأعمال أكمل الإيمان، وتم الكتاب القائل: فآمن إبراهيم بالله فحسب له براً ودعي خليل الله. ترون إذاً أنه بالأعمال يتبرر الإنسان، لا بالإيمان وحده" (يعقوب 2: 21 – 23).

المعنى (أ) إذا رجعنا إلى تاريخ إبراهيم، نرى أنه تبرر أمام الله بالإيمان قبل تقديم ابنه إسحاق على المذبح بأربعين سنة تقريباً[1]، وذلك عندما آمن أن الله سيعطيه نسلاً وهو في سن الشيخوخة، فمكتوب "فإذا كلام الرب إليه قائلاً: الذي يخرج من أحشائك هو يرثك، فآمن (إبراهيم) بالرب فحسب له براً" (تكوين 15: 4، 6)، وبعد حصول إبراهيم على هذا البر بأربعين سنة تقريباً كما ذكرنا، طلب الله منه أن

[1] – لأن الله وعد إبراهيم بالنسل سنة 1913 ق.م وأمره بتقديم إسحاق ذبيحة حوالي سنة 1872 ق.م، كما يتضح من هامش الكتاب المقدس.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

يقدم ابنه إسحاق ذبيحة (تكوين 22: 2)، ومن ثم فإبراهيم عندما قدم ابنه لله على المذبح لم يكن غير مبرر، بل كان مبرراً ومبرراً لديه تعالى.

(ب) وإذا كان الأمر كذلك، فما الغرض من تبرير إبراهيم بعد ذلك بسبب تقديم ابنه؟ (الجواب) إن الوحي لم يتركنا نتخبط في الرد على هذا السؤال، فقد قال لنا على لسان بولس الرسول بكل وضوح وجلاء "لأنه إن كان إبراهيم قد تبرر بالأعمال (أي بتقديم ابنه لله) فله فخر، لكن ليس لدى الله" (رومية 4: 2)، ولماذا لا يكون لإبراهيم فخر لدى الله؟ (الجواب) نظراً لأن الله هو الذي أعطى إسحاق لإبراهيم، لا يكون لإبراهيم فخر لدى الله إن كان يقدم إليه إسحاق هذا. فضلاً عن ذلك فإن إبراهيم لم يكن إلا عبداً لله، والعبد وما ملكت يداه إنما لسيده دون سواه، ومن ثم فإنه إذا أطاع سيده في أي أمر من الأمور، لا يكون قد قام بأكثر مما يجب عليه، ولا شكر على واجب كنا يقولون [وقد أشار المسيح إلى هذه الحقيقة فقال لنا "متى فعلتم كل ما أمرتم به (من خير وصلاح)، فقولوا إننا عبيد بطالون[1]، لأننا إنما عملنا ما كان يجب علينا" (لوقا 17: 10)]. وإذا لم يكن لإبراهيم فخر لدى الله، فلدى من يكون له هذا الفخر؟ (الجواب) طبعاً لدى غيره من الناس.

[1] – كلمة "بطالون" مشتقة من البطالة، ولذلك فمعناها "عاطلون". والعاطلون في نظر الله لا يراد بهم فقط الذين لا يعملون أعمالاً صالحة، بل يراد بهم أيضاً الذين لا يعملون أكثر مما يجب عليهم من هذه الأعمال. وإذا كان ذلك كذلك، فإن الذين يقومون بكل الأعمال الصالحة (على فرض إمكانية ذلك) لكي يكون لهم القبول الأبدي أمام الله، لا يكونون في نظره أكثر من عبيد بطالين، لأنهم لم يعملوا أكثر مما يجب عليهم من نحوه.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

وإذا كان ذلك كذلك، فتبرير إبراهيم بالأعمال أو تكميل إيمانه بها الـــوارد ذكره في رسالة يعقوب، لا يقصد به سوى الشهادة العلنية على أنه كان حقاً باراً أو كاملاً في إيمانه، وأنه يستحق أن يدعى خليل الله، كما قال الوحي في الآيات المعروضة أمامنا.

(جـــ) فضلاً عن ذلك فإننا إذا تطلعنا إلى تاريخ إبراهيم نرى أنه مع حيـــاة الإيمان الممتازة التي عاشها، انحرف عن السلوك بالإيمان بضع مرات، فأخطأ بذلك أمام الله كثيراً: فهو لم يحتمل الجوع الذي أرسله الله إلى الأرض التي دعاه للإقامة فيهـــا، فانتقل منها إلى غيرها من البلدان دون أن يأمره الله أو يطلب هو إرشاداً منه. كمـــا أوصى زوجته أكثر من مرة أن تقول إنها أخته معرضاً إياها لأن تكون زوجة لغيره، حتى يكون له خير بسببها عند بعض الملوك. أضف إلى ذلك، أنه اتخذ هاجر زوجة له لكي ينجب منها نسلاً، غير مؤمن في أول الأمر أن الله قادر أن يعطيه نسلاً من سارة زوجته الأولى (تكوين 12: 10 – 13، 20: 1 – 2، 17: 15 – 18). ولذلك لا يمكن أن يكون تبرير إبراهيم أمام الله راجعاً إلى تقديم إسحاق له (لأن الأعمـــال الطيبة مهما عظم قدرها، لا تكفر عن خطية واحدة كما ذكرنا)، بل راجعاً إلى الإيمان دون سواه، مثله في ذلك مثل راحاب الزانية وغيرها من الخطاة كما سيتضح فيما يلي.

2- قال يعقوب في رسالته كذلك "ما المنفعة يا إخوتي إن قال أحد إن لـــه إيماناً ولكن ليس له أعمال، هل يقدر الإيمان أن يخلصه ... هكذا الإيمان أيضاً، إن لم

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

يكن له أعمال ميت في ذاته .... لأنه كما أن الجسد بدون روح ميت، هكذا الإيمان أيضاً بدون أعمال، ميت" (يعقوب 2: 14 – 18).

المعنى (أ) هذه الآيات لا تدل على أن خلاص المؤمن الحقيقي يتوقف على الإيمان والأعمال معاً، كما يتراءى للقراء لأول وهلة، لأن يعقوب لا يتحدث هنا عن مؤمن حقيقي، بل عن شخص يقول إنه مؤمن، وطبعاً ما لم يبرهن هذا الشخص على صدق إيمانه بالحياة المقدسة والأعمال الصالحة، فإيمانه يكون شكلياً لا حقيقياً، لأن الإيمان الحقيقي لا يكون ميتاً بل حياً، والإيمان الحي هو المصحوب بالحياة الإلهية، والحياة الإلهية من شأنها أن تثمر أثماراً صالحة.

ولذلك ليس هناك أي اختلاف بين أقوال بولس التي ذكرناها في الفصل السابق عن السبيل إلى التبرير أمام الله، وبين أقوال يعقوب الواردة في الآيات التي نحن بصددها عن هذا السبيل. لأن الأول يعلن أن التبرير هو بالإيمان الحقيقي، ويعلن الثاني أنه ليس بالإيمان الإدعائي، وكلا الإعلانين حق. ويعلن الأول أن الخاطئ يتبرر أمام الله بالإيمان (لأن الله لا يحتاج إلى رؤية أعمال صالحة من الخاطئ الذي يؤمن حتى يبرره، إذ أنه يعرف قلب هذا الشخص وكل ما فيه حق المعرفة)، ويعلن الثاني أن المؤمن الذي يحصل على الخلاص بالإيمان، يجب أن يبرهن على وجود هذا الإيمان في نفسه بالأعمال الصالحة، لأن هذه الأعمال هي التي تعلن أنه مؤمن حقيقي، وكلا الإعلانين حق أيضاً.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

(ب) ومما يؤيد هذه الحقيقة أن يعقوب (كما يتضح من الآيات التي نحن نصددها) يشبِّه الإيمان بالجسد، ويشبِّه الأعمال بالروح. بينما يستنتج من أقوال بولس (التي ذكرناها في الفصل السابق) أنه يشبِّه الإيمان بالروح والأعمال بالجسد [لأنه يضع أمامنا أن الأعمال هي ثمر الإيمان، أو بالحري ثمر الروح القدس الذي يحل في المؤمن بمجرد أن يؤمن إيماناً حقيقياً (غلاطية 5: 22)]، الأمر الذي يدل على أن الإيمان الذي يتحدث عنه يعقوب في الآيات التي نحن بصددها، ليس هو الإيمان الذي يتحدث عنه بولس في الآيات السابق ذكرها، بل أن الأول يقصد بالإيمان الذي ذكره هنا [العقيدة الدينية التي يفتخر بها بعض الناس، والتي من الممكن أن توجد حتى لدى الشياطين (يعقوب 2: 19)]، وأما الثاني فيقصد بالإيمان الذي ذكره [قبول المسيح في النفس قبولاً تولد به من الله ولادة روحية (يوحنا 1: 12)]، والعقيدة الدينية وحدها لا تفيد الإنسان الحاصل عليها بأكثر مما تفيد الشياطين، أما الولادة الروحية من الله فإنها تحيي النفس وتجعلها أهلاً للتوافق معه في العالم الحاضر وفي الأبدية معاً.

(جـ) أخيراً نقول: إذا رجعنا إلى رسالة يعقوب يتضح لنا أنه لم يكن يتحدث إلى مؤمنين حقيقيين فحسب، بل وإلى مؤمنين بالاسم أيضاً. فمثلاً قوله "أيها الزناة والزواني: أما تعلمون أن محبة العالم عداوة لله"، وقوله "حكمتم على البار قتلتموه" (4: 4، 5: 6)، موجهان إلى الفريق الثاني من المؤمنين. أما قوله "فتأتوا أيها الأخوة إلى مجيء الرب"، وقوله "أعلى أحد بينكم مشقات، فليصل. أمسرور أحد، فليرتل" (5: 8 – 16) فموجهان إلى الفريق الأول منهم. وإذا كان ذلك كذلك،

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

فإن حديث يعقوب السابق عن الإيمان والأعمال موجه إلى المؤمنين بالاسم الـــذين يقولون إنهم مؤمنون، والحال أنهم بعيدون عن الله كل البعد.

3- وقال يعقوب في رسالته أيضاً "كذلك راحاب الزانية أيضاً، أما تبررت بالأعمال إذ قبلت الرسل وأخرجتهم في طريق آخر،" (2: 25).

المعنى (أ) إن قبول راحاب الوثنية للرسل المذكورين ومحافظتها على حياتهم، هو ثمر إيمانها بالله وقدرته الفائقة، فقد قالت لهم "علمت أن الرب قد أعطاكم الأرض وأن رعبكم قد وقع علينا، وأن جميع سكان الأرض ذابوا من أجلكم. لأننا قد سمعنا كيف يبس الرب مياه بحر سوف قدامكم عند خروجكم من مصر، وما عملتمـــوه بملكي الأموريين اللذين في عبر الأردن سيحون وعوج، سمعنا فذابت قلوبنا و لم تبـــق بعد روح في إنسان بسببكم، لأن الرب إلهكم هو الله في السماء من فـــوق وعلـــى الأرض من تحت" (يشوع 2: 9 – 11).

مما تقدم يتضح لنا أن الذي أنقذ راحاب ليس هو محافظتها على حياة الرسل المذكورين، بل إيمانها الحقيقي بالله الذي تميزت به عن جميع مواطنيها. فكلهم سمعـــوا عن الله وعن قوته، ولكنهم لم يبالوا به، الأمر الذي يدل على أن إيمانهم كان إيمانـــاً عقلياً فحسب، والإيمان العقلي لا يجدي على المرء خيراً، كما ذكرنا فيما سلف. أما إيمان راحاب بالله فكان إيماناً حقيقياً، والدليل على ذلك أنها ألقت بنفسها عند قدميه محتمية به وراغبة في الانضمام تحت لوائه (يشوع 6: 25)، مهما كلفها هذا العمل من اضطهاد أهلها لها.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

(ب) ومما لا يدع مجالاً للشك في أن راحاب خلصت بالإيمان كما ذكرنا، أن بولس قال إنه بالإيمان راحاب الزانية لم تهلك مع العصاة، إذ قبلت الرسل بسلام (عبرانيين 11: 31). نعم و لم تهلك على الرغم من حياتها السابقة في النجاسة والشر، وعلى الرغم أيضاً من كذبها على رسل الملك (يشوع 2: 4 – 6). وإننا بقولنا هذا لا نبيح لأنفسنا عمل الشر أو الكذب مع الإيمان، ولكن ما ننبر عليه أن راحاب قد تبررت، ليس لأنها كانت تحيا حياة القداسة والصلاح، بل فقط لأنها آمنت بالله إيماناً حقيقياً، ظهرت آثاره في خشوعها واتضاعها أمامه، كما ظهرت في محافظتها على حياة بعض أتباعه.

4- قال بطرس الرسول "الله لا يقبل الوجوه، بل في كل أمة الذي يتقيه ويصنع البر مقبول عنده" (أعمال 10: 35). وقال بولس الرسول "مجد وكرامة وسلام لكل من يفعل الصلاح .... لأنه ليس عند الله محاباة" (رومية 2: 10).

المعنى (أ) ليس هناك جدال في أن الأعمال الصالحة الصادرة من الأشخاص المخلصين، لها قيمة ثمينة في نظر الله ولها جزاؤها الخاص لديه كما ذكرنا فيما سلف، لكنها مع ذلك ليست بكافية للتكفير عن الخطية أو تأهيل فاعلها للتوافق مع الله في صفاته الأدبية السامية، لأن الذي يقوم بالعمل الأول هو دم المسيح الذي سفك مرة على الصليب، والذي يقوم بالعمل الثاني هو الروح القدس الذي يسكن في قلوب المؤمنين الحقيقيين (غلاطية 5: 22).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

(ب) أما السبب في قول الرسولين بطرس وبولس في الآيتين اللتين نحن بصددهما. إن الأعمال الصالحة تجعل صاحبها مقبولاً أمام الله وأهلاً للحصول على المجد والكرامة والسلام، فيرجع إلى أن هذين الرسولين كانا في مستهل حديثهما مع أشخاص أمميين، لا يعرفون شيئاً عن الخلاص الكامل من الخطية والتوافق مع الله في صفاته الأدبية السامية. وكل ما كانوا يعرفونه، وقتئذ، هو وجوب استرضائه بالصوم والصلاة والصدقة، لكي يرحمهم ويجنبهم كل مكروه في الحياة الدنيا. غير أنهم كانوا يخشون أن تكون هذا الأعمال غير مقبولة لديه، بسبب عدم وجود صلة تربطهم به من جهة الآباء أو الأنبياء، كما كانت الحال مع اليهود قديماً، فاتخذ الرسولان الأعمال المذكورة بوصفها ثمراً للإيمان العام بوجود الله والرغبة في استرضائه، وسيلة للتحدث معهم عن المسيح الذي بواسطته يكون الخلاص من الخطية والتوافق مع الله، وذلك بعد أن أعلنا لهم أن الله لا يفرق بين جنس وآخر على الإطلاق.

(جـ) ومما يثبت ذلك (أولاً) أن كرنيليوس (الذي خاطبه بطرس بالعبارة الأولى) كان يكثر من الصوم والصلاة والصدقة، ومع ذلك أمره الله أن يستدعي الرسول المذكور ليرشده إلى طريق الخلاص من الخطية (أعمال 10: 32). ولما أتى هذا إليه، قال له "إن كل من يؤمن بالمسيح ينال باسمه غفران الخطايا" (أعمال 10: 34 – 43)، الأمر الذي يدل على أن جميع الأعمال الصالحة التي كان يقوم بها كرنيليوس لم تكن كافية للحصول على الغفران الذي كان يبتغيه. (ثانياً) إن أهل رومية (الذين خاطبهم بولس بالعبارة الثانية) قال لهم بعدها "فأين الافتخار؟ قد انتفى،

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

بأي ناموس: أبناموس الأعمال؟ كلا، بل بناموس الإيمان، إذاً نحسب أن الإنسان يتبرر بالإيمان (أو بالحري بالإيمان الحقيقي) بدون أعمال الناموس" (رومية 3: 27 – 28)، الأمر الذي يدل على أن الأعمال الصالحة ليست هي الوسيلة للتكفير عن الخطية أو القبول أمام الله إلى الأبد.

5- قال بطرس الرسول "لذلك بالأكثر اجتهدوا أيها الأخـــوة أن تجعلـــوا دعوتكم واختياركم ثابتين، لأنكم إذا فعلتم ذلك لن تزلوا أبداً" (2 بطرس 1: 10 – 11).

المعنى (أ) بما أن الله هو الذي دعانا واختارنا بنفسه على أساس كفارة المسيح (رومية 8: 30، أفسس 1: 4)، ودعوة الله وهباته هي بلا ندامة (رومية 11: 29)، لذلك فدعوتنا واختيارنا ثابتان إلى الأبد بناءً على أمانة الله لهذه الكفارة، ولا يتطلب الأمر منا أن نثبتهما نحن بأي عمل أو مجهود من جانبنا. فإذا أضفنا إلى ذلك أن الثبات هنا لا يراد به حسب الأصل اليوناني، الثبات فقط، بل يراد به أيضاً التأكد واليقين[1]، أدركنا أن المراد يجعل دعوتنا واختيارنا ثابتين، لا أن نجعلهما ثابتين أمام الله، بل ثابتين أمام أنفسنا، أو بتعبير آخر أن نكون على يقين تام في كل حين من دعوة الله واختياره لنا، ومما يؤيد هذه الحقيقة أن بعض المترجمين الذين يميلون إلى الترجمة المعنوية صاغوا

[1] – فكلمة "ثابتين" هنا ترد في اليونانية "فيفايون" ومعناها "مؤكدين أو ثابتين"، فهي بذلك تختلـــف عـــن الكلمـــة المترجمة "تثبت" الواردة في (1 بطرس 1: 25) لأنها ترد في اليونانية "مانيى" ومعناها "تدوم"، وعـــن الكلمـــة المترجمة "ثابتة" الواردة في (2 بطرس 2: 14)، لأنها ترد في اليونانية "ستركتس" ومعناها "راسخة".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

هذه الآية بما تعريبه "اجتهدوا أن تجعلوا دعوتكم واختياركم ثابتين لدى أنفسكم" (New World Translation Bible). وإن كان الكاتب يستنكر إضافة كلمة أو حذف أخرى عند ترجمة الكتاب المقدس، لكن يورد هذه الترجمة لكي يعلن فقط أن المعنى العام لهذه الآية، يدل على الحقيقة التي ذكرها، لأن التأكد واليقين لا يوجدان إلا إذا كان هناك مجال للشك والتردد، ومجال الشك والتردد عند الإنسان، وليس عند الله.

(ب) ولكي لا ندع مجالاً للظن بأن ثبات الدعوة والاختيار يتوقف على الأعمال الصالحة نقول: إن الإنسان مهما واظب على هذه الأعمال، قد يغفل أحياناً عن القيام ببعضها من باب السهو أو الضعف (مثلاً)، ولذلك لا تكون أعماله الصالحة كاملة، وبالتبعية لا تستطيع (إن كان لها تأثير على دعوته واختياره) أن تجعلهما ثابتين أمام الله. أما كفارة المسيح فهي كاملة كل الكمال إلى الأبد الذي لا نهاية له، ومن ثم يليق أن يكون ثبات دعوتنا واختيارنا أمام الله متوقفاً عليها.

كما أننا إذا تأملنا هذه الآية بشيء من الإمعان. نرى أن عدم الزلل ليس هو السبب في جعل دعوتنا واختيارنا ثابتين، بل هو النتيجة لجعلهما ثابتين [لأن الآية لا تقول: لا تزلوا أبداً لكي تجعلوا دعوتكم واختياركم ثابتين، بل "اجتهدوا أن تجعلوا دعوتكم واختياركم ثابتين، لأنكم إذا فعلتم ذلك لن تزلوا أبداً"]، وإذا كان ذلك كذلك، أدركنا أن معنى هذه الآية ينحصر في أننا عندما نضع أمامنا أن دعوتنا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

واختيارنا ثابتان بفضل كفارة المسيح، لا يمكن أن تزحزحنا التجارب، أو بالحري لا يمكن أن نزل على الإطلاق.

(جـــ) أما الدعوى [إن هذه الآية وردت في بعض النسخ القديمة للكتـــاب المقدس بما ترجمته "اجعلوا دعوتكم واختياركم ثابتين بالأعمال الصـــالحة، ولكـــن الإنجيليين حذفوا عبارة "الأعمال الصالحة" من ترجمتهم لعدم اهتمامهم بهذه الأعمال]، فليس لها نصيب من الصواب، إذ فضلاً عن أن هذه الأعمال ليست هي الصوم لغاية الغروب والاقتصار على تناول الخضراوات والبقول[1]، بل هي القداسة والصلة العملية بالله والسعي لهداية الناس إليه ومد يد العون إلى المحتاجين جميعاً، وهذه الأعمال يقوم بها الأتقياء من الإنجيليين كما يقوم بها الأتقياء من الأرثوذكس والكاثوليـــك ســـوء بسواء، الأمر الذي لا يدع مجالاً لهذه الدعوى، نقول: إن كل النسخ القديمة للكتاب المقدس خالية من عبارة "الأعمال الصالحة" المذكورة، إذ أنها موجودة فقط في النسخة التي رقمها علماء الآثار بحرف "ابسي"[2]، والتي عثروا عليها في جبل أثـــوس، وهـــذه النسخة يرجع تاريخها إلى منتصف القرن التاسع للميلاد فحسب. ولذلك فالراجح أن من قام بكتابة النسخة المذكورة، أضاف عبارة "الأعمال الصالحة" هنا من باب السهو أو حسن النية، أو كتبها من عندياته تعليقاً شخصياً منه على الآية التي أمامنا.

[1] – إننا بقولنا هذا، لا ننكر فائدة الصوم المقرون بالصلاة والتكريس، بل ننكر وجود أي فائدة للصوم إذا كـــان هو مجرد الامتناع عن الطعام والشراب

[2] – حرف "ابسي" هو الحرف الثالث والعشرين من الأبجدية اليونانية، وقد وضعه علماء الآثار على النســـخة المذكورة أعلاه للدلالة على أن هناك 22 نسخة أقدم منها.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

لكن مما لا شك فيه أننا عندما نجعل دعوتنا واختيارنا ثابتين أمامنا، تفيض قلوبنا بالشكر والحمد لله، ونكثر أيضاً من عمل الخير والصلاح. وإكثارنا منهما، وإن كان لا يؤدي إلى جعل دعوتنا واختيارنا ثابتين أمام الله كما ذكرنا، غير أنه يؤهلنا للحصول على الأكاليل السماوية، بجانب الحياة الأبدية التي هي هبة مجانية من الله لنا بفضل كفارة المسيح، كما ذكرنا فيما سلف.

6- قال بطرس الرسول "لأن الذي ليس عنده هذه (أي الصبر والفضيلة والتقوى والمحبة) هو أعمى قصير البصر قد نسي تطهير خطاياه السالفة" (2 بطرس 1: 9).

المعنى (أ) إن الرسول لا يقول: إن المؤمن الذي لا يتصف بهذه الصفات يطرح في جهنم أو يهلك إلى الأبد، بل يقول إنه يكون "أعمى قصير البصر قد نسي تطهير خطاياه السالفة"، أي أنه يكون شخصاً غافلاً نسي ما فعلته النعمة له، وما يجب عليه إزاءها من السلوك بالتدقيق، لأن النعمة التي تخلص المؤمن لا تدعه يسلك كما يشاء، بل تعلمه أن ينكر الفجور والشهوات العالمية ويعيش بالتعقل والبر والتقوى في العالم الحاضر (تيطس 2: 12) – والعمى الروحي الذي يمكن أن يتعرض له المؤمن الحقيقي في بعض الأحيان بسبب الإهمال أو النسيان، وإن كان أمراً لا يليق به على الإطلاق، غير أنه لا يؤدي به إلى العذاب الأبدي (بفضل كفارة المسيح التي يعتمد عليها هذا المؤمن بكل قلبه)، بل يسلبه فقط حياة التمتع بالرب والقدرة على خدمته، كما يعرضه

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

للتأديب في العالم الحاضر والحرمان من المكافأة أمام كرسي المسيح في العالم الآخر، كما ذكرنا فيما سلف.

(ب) كما يجب أن نضع نصب أعيننا أن "العمى" المسند إلى الشخص المذكور، لا يراد به تجرده من البصيرة الروحية ووجوده تبعاً لذلك في مصاف غير المؤمنين، الذين أعمى الشيطان أذهانهم (2 كورنثوس 4: 4)، ووصفهم المسيح بأنهم عميان (متى 15: 14)، بل يراد بهذا العمى عدم استخدام الشخص المذكور للبصيرة الروحية التي أعطاها الله له عند الإيمان الحقيقي به (1 يوحنا 5: 20). والدليل على ذلك أن هذا الشخص يوصف بأنه قصير البصر، أي لديه بصر لكنه قصير (أو بالحري جعله هو قصيراً)[1] بسبب عدم تطلعه إلى الأمور الروحية السماوية، وحصر اهتمامه في الأمور المادية الأرضية، كما كانت الحال مع لوط، الذي مع أنه كان باراً (2 بطرس 2: 8)، قد اتجه إلى العالم فتعطلت شهادته للرب وحل به التأديب المريع.

7- قال بولس الرسول "إذاً يا أحبائي، كما أطعتم كل حين ليس في حضوري فقط، بل الآن بالأولى جداً في غيابي، تمموا خلاصكم بخوف ورعدة، لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرة" (فيلبي 2: 11 – 13)

المعنى (أ) إن الرسول لا يقول للمؤمنين أن يتمموا خلاصهم بخوف ورعدة بواسطة الأعمال الصالحة (حتى كان يجوز الظن بأن القيام بهذه الأعمال شرط من شروط الحصول على الخلاص الأبدي)، ولا يقول تمموا خلاصكم بخوف ورعدة لئلا

[1] – لأن التعبير "قصير البصر" يرد في الأصل اليوناني صفة لمن" يحول نظره عن أمر، فتضعف رؤيته له".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

تهلكوا (حتى كان يجوز الظن بأن القيام بالأعمال المذكورة شرط من شروط النجاة من العذاب الأبدي)، بل يقول "تمموا خلاصكم بخوف ورعدة، لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا لأجل المسرة" – أي أن السبب في وجوب إتمام خلاصنا بخوف ورعدة، هو وجود الله معنا وعمله المتواصل في نفوسنا لكي يتمم مسرته الصالحة من جهتنا، الأمر الذي يدل على أن الخوف والرعدة هنا، لا يراد بهما الخوف والرعدة من جهنم، بل الحذر وكل الحذر[1] من القيام بأي عمل يتعارض مع مشيئة الله. لأن المؤمنين الحقيقيين يخافون من الخطية ويرتعدون منها, إذ فضلاً عن أنها أعظم إساءة إلى الله الذي يحبونه من كل قلوبهم ويحافظون على إكرامه بكل قواهم، فإن السقوط فيها يملؤهم بالحزن والأسى أكثر من أشر المصائب والكوارث.

وقد يكون المراد أيضاً بالخوف والرعدة هنا، الخشوع والورع أمام الله العالم في نفوسنا لكي يتمم مسرته من جهتنا. فقد قال تعالى "وإلى هذا انظر: إلى المسكين والمنسحق الروح والمرتعد من كلامي" (أشعيا 16: 2)؛ لأن الله يحب ألا يحب فقط، بل وأن يهاب أيضاً.

(ب) وإذا كان ذلك كذلك، فالخلاص الوارد ذكره في الآية التي نحن بصددها، لا يراد به الخلاص من الدينونة الأبدية بل الخلاص من تأثير الخطية علينا في

[1] – وقد وردت عبارة "بخوف ورعدة" أيضاً في (1 كورنثوس 2: 3، 2 كورنثوس 7: 25)، فقد قال الرسول "وأنا كنت عندكم في ضعف وخوف ورعدة كثيرة". وإن الكورنثوسيين قبلوا تيطس "بخوف ورعدة" – والخوف والرعدة في هاتين الآيتين لا يراد بهما طبعاً سوى الحذر والتدقيق في التصرف، كما هي الحال في الآية المذكورة أعلاه.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

العالم الحاضر[1]، والتي يعمل الله بروحه في نفوسنا لكي ننتصر في كل حين عليها، حتى نكون قديسين في كل سيرة. ولذلك فقول الرسول "تمموا خلاصكم بخوف ورعدة" [مثل قوله في موضع آخر "مكملين القداسة في خوف الله" (2 كورنثوس 7: 1)]، لا يراد به سوى وجوب السلوك بالتدقيق في هذا العالم، حتى يتمم الله مسرته من جهتنا، كما أعلن الوحي.

(جـــ) ومما يثبت أن خلاصنا بالمسيح كامل، ولا يحتاج إلى تكملة من جانبنا بالأعمال الصالحة، وأن الغرض من الخلاص هنا، هو العمل الذي نقوم به لكي ننتصر على الخطية التي نتعرض لها أثناء السير في العالم، حتى نكون بـــلا لـــوم في حياتنـــا وشهادتنا لنعمة الله، أن الكلمة المترجمة إلى العربية "تمموا"، ترد في الأصل اليونـــاني

[1] – إن الكتاب المقدس يعلن لنا أن هناك ثلاثة أنواع من الخلاص (الأول) الخلاص من قصاص الخطية: وهذا الخلاص تم مرة واحدة إلى الأبد لأن الذي قام به هو المسيح، وذلك عندما قدم نفسه فدية على الصليب لأجلنـــا، ونحصل نحن على الخلاص المذكور بمجرد أن نؤمن إيماناً حقيقياً، ومن ثم لا نأتي إلى دينونة على الإطـــلاق، كما اتضح لنا مما سلف. (الثاني) الخلاص من تأثير الخطية علينا: وهذا الخلاص يتم من وقت لآخر أثناء سيرنا في العالم الحاضر، وذلك بواسطة عمل الروح القدس في نفوسنا واستجابتنا نحن لعمله هذا، ومن ثم فـــالخلاص المذكور يتوقف نصيب كبير منه على طاعتنا نحن لله. وفائدة هذا الخلاص أن تكون لنا علاقة مستمرة مـــع الله وقدرة على خدمته وإكرامه في العالم، الأمر الذي يؤهلنا للحصول على أكاليل خاصة عند الوقوف أمام كرسي المسيح في المجد (الثالث) الخلاص من العالم والطبيعة العتيقة الكامنة في نفوسنا: وهذا الخلاص ســـوف يـــتم عندما يأتي المسيح إلينا في المرة الثانية وبغير شكل جسد تواضعنا لكي يكون على صورة جسد مجده (فيلبي 3: 21). وقد أشار بطرس الرسول إلى الخلاص المذكور في قوله للمؤمنين "أنتم الذين بقوة الله محروسون بإيمان لخلاص مستعد أن يعلن في الزمان الأخير لأجلكم" (1 بطرس 1: 5)، كما أشار إليه بولس الرسول في قوله لهم "فإن خلاصنا الآن أقرب مما كان حين آمنا" (رومية 13: 13).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

"كاتا أرجدزيتيه"، وهذه الكلمة لا يراد بها إتمام شيء ناقص، بل "إعلان شيء غير ظاهر"[1] ولذلك فإن كلمة "خلاصكم" هنا، لا يراد بها خلاص الله المعطى لنا، بل "خلاصنا نحن أنفسنا"[2]، الأمر الذي يدل على أن معنى الآية التي نحن بصددها هو وجوب المثابرة على الطاعة لله العامل في نفوسنا في كل حين، حتى نخلص من سلطة الخطية علينا في أي وقت نتعرض فيه لها، حتى تكون حياتنا دائماً أبداً بلا لوم أمام الله والناس كما ذكرنا.

8- قال بولس الرسول "لذلك لنحترس أيضاً مستوطنين كنا أو متغربين أن نكون مرضيين عنده، لأنه لا بد أننا جميعاً نظهر أمام كرسي المسيح لينال كل واحد منا ما كان بالجسد، بحسب ما صنع خيراً كان أم شراً" (2 كورنثوس 5: 9).

المعنى (أ) بالرجوع إلى الإصحاح المقتبسة منه هذه الآية، نرى أن الرسول افتتحه بالقول "لأننا نعلم أنه إن نقض بيت خيمتنا الأرضي، فلنا في السماء بناء من الله بيت غير مصنوع بيد، أبدي" (2 كورنثوس 5: 1). ثم قال بعد ذلك "فنئق ونسر

---

[1] – فهي تختلف عن الكلمة اليونانية المترجمة "تتمم" في الآية "قولوا لأرخبس؛ انظر إلى الخدمة التي قبلتها من الرب لكي تتممها" (كولوسي 4: 17)، وغيرها من الآيات التي على شاكلتها، لأن كلمة "تتمم" في هذه الآيات ترد في اليونانية "بليروليس"، ومعناها "يتمم شيئاً ناقصاً".

[2] – فضمير الملكية هنا، ليس "هيمون" كما هي الحال مع كلمة "خلاصكم" الواردة في الآية "إنجيل خلاصكم" (أفسس 1: 13)، والذي يجعل المراد بالخلاص "خلاص الله لنا" من دينونة الخطية، بل "هيواتون" الذي يجعل المراد بالخلاص "خلاصنا نحن أنفسنا"، أو بالحري خلاصنا من سلطة الخطية علينا الذي نقوم به بتأثير الروح القدس في نفوسنا، كما ذكرنا أعلاه.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

بالأولى أن نتغرب عن الجسد ونستوطن عند الرب" (2 كورنثوس 5: 8)، الأمر الذي يدل على أن المؤمنين الحقيقيين يدخلون إلى المجد الأبدي بعد انتقالهم من العالم الحاضر مباشرة – غير أن هذه الحقيقة لا تعفيهم بوصفهم مفديين بالدم الكريم من مسؤولية التصرف بالقداسة والتقوى والأمانة في العالم الحاضر (1 بطرس 1: 13 – 17)، لأن المسؤولية والامتياز صنوان لا يفترقان. فمسؤوليتنا أمام الله من جهة السلوك بالتدقيق في العالم الحاضر لا تقلل من ثقتنا في التمتع بالمجد الأبدي، وثقتنا في التمتع بالمجد الأبدي، لا تقلل من مسؤوليتنا أمام الله من جهة السلوك بالتدقيق في هذا العالم.

(ب) لذلك كان من البديهي وقد أصبح لنا امتياز التمتع بالمجد الأبدي على أساس نعمة الله المجانية، ألا يتركنا المسيح وشاننا، بل أن يوقفنا أمامه لنعطي حساباً عن كل عمل عملناه. وطبعاً ليس الغرض من هذه المحاسبة أن يسمح الله لبعض المؤمنين الحقيقيين بالدخول إلى المجد، ويأمر بطرح البعض الآخر منهم في جهنم، كلا (لأن جميع هؤلاء المؤمنين كما اتضح مما سلف، سيستوطنون مع المسيح بمجرد انتقالهم من العالم الحاضر) بل الغرض من المحاسبة المذكورة "إظهارهم" أو بالحري "إظهار حياتهم وأعمالهم" في نور قداسة الله، لكي يعرف كل منهم حقيقة أعماله، ويتقبل الجزاء الذي يستحقه عنها راضياً. فالذين خدموا الله بإخلاص سينالون الأكاليل[1] التي تتناسب مع

[1] – وهذه الأكاليل أنواع: منها إكليل البر (2 تيموثاوس 4: 8) وإكليل الحياة (يعقوب 1: 12) وإكليل المجد (1 بطرس 5: 4)، وغير ذلك.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

أعمالهم. أما الذين لم يخدموه أو خدموه بدون إخلاص سيحرمون من هذه الأكاليل (ولزيادة الإيضاح اقرأ: 1 كورنثوس 3: 10 – 16)، ولذلك يستعمل الوحي هنا كلمة "نظهر" وليس كلمة "ندان" أو "نحاكم"، وكلمة "نظهر" تختلف كل الاختلاف عن هاتين الكلمتين لفظاً ومعنى.

(جـ) أما من جهة الخطايا التي يقع فيها بعض المؤمنين الحقيقيين في العالم الحاضر، فإنهم لا يحاسبون عنها في الأبدية، ليس لأن الله لا يبالي بهذه الخطايا من باب المحاباة لهم، بل لأن المسيح حمل عقوبتها نيابة عنهم على الصليب، والعدل الإلهي لا يطالب بحقه مرتين. فضلاً عن ذلك فإن الله يؤدبهم عنها التأديب الكافي في هذا العالم حتى لا يدانوا عنها في العالم الآخر (1 كورنثوس 11: 30 – 32). ولكن الذين سيحاسبون عن خطاياهم في الأبدية أمام العرش العظيم الأبيض (رؤيا 20: 11)، هم غير المؤمنين والمؤمنون بالاسم لأنهم لم يقبلوا كفارة المسيح أو قبلوها قبولاً اسمياً لا قلبياً.

ونظراً لأن المسيح هو الذي سيحاسب غير المؤمنين والمؤمنين بالاسم على شرورهم وسيحاسب المؤمنين الحقيقيين على أعمالهم الصالحة، لذلك يقول الرسول "لأنه لا بد أننا جميعاً نظهر أمام كرسي المسيح لينال كل واحد منا، ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيراً كان أم شراً".

9- قال بولس الرسول "إذاً لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع، السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح. لأن ناموس روح

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

الحياة في المسيح يسوع قد أعتقني من ناموس الخطية والموت ... لكي يتم حكم الناموس فينا، نحن السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح. فإن الذين هم في الجسد لا يستطيعون أن يرضوا الله. وأما أنتم فلستم في الجسد بل في الروح، إن كان روح الله ساكناً فيكم. ولكن إن كان أحد ليس له روح المسيح، فذلك ليس له .... لأنه إن عشتم حسب الجسد فستموتون، ولكن إن كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد فستحيون" (رومية 8: 1 – 12).

المعنى (أ) إن الكتاب المقدس يعلن لنا أن الإنسان بمجرد أن يؤمن إيماناً حقيقياً بالمسيح، يصبح مقامه ليس في ذاته بل في المسيح (1 أفسس 1: 3 و 4). كما يسكن فيه الروح القدس ويجعله هيكلاً لله (1 كورنثوس 6: 19)، ومن ثم لا يكون أمام الله بعد في الجسد (أو بالحري في الطبيعة العتيقة)، بل يكون في المسيح أو بالحري في الروح[1]، كما يتضح من الآيات التي نحن بصددها – ووجود المؤمن في المسيح[2] يجعله خليقة جديدة، كما يجعله مقبولاً أمام الله إلى الأبد (2 كورنثوس 5: 17، أفسس 1:

---

[1] – مما تجدر ملاحظته في هذه المناسبة أن المؤمن الحقيقي، وإن لم يكن معتبراً أمام الله إنه في الطبيعة العتيقة بعد، غير أن هذه الطبيعة لا تزال كامنة فيه، وستبقى أيضاً كامنة فيه حتى انتقاله من العالم الحاضر. وقد وضح أحد الكتاب هذه الحقيقة إلى حد ما فقال "إن السفينة التي اعتادت السير في المحيطات زمناً طويلاً، يكمن في قاعها شيء من ماء المحيطات. فإذا انتقلت بعد ذلك للسير في الأنهار ذات الماء العذب، فإن الماء المالح لا يهجرها إطلاقاً بل يظل أثره موجوداً فيها. وعلى هذا المنوال، فالمؤمن الحقيقي، وإن كان بالإيمان بالمسيح قد أصبح أمام الله في الروح وليس في الطبيعة العتيقة، غير أن هذه الطبيعة لا تفارقه طالما يعيش في العالم الحاضر.

[2] – أذكر ما قيل في الفصل السابق عن معنى "وجود المؤمن الحقيقي في المسيح"

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

5)، ووجود الروح القدس في المؤمن الحقيقي، يجعله يسلك ليس حسب الجسد بل حسب الروح. ولذلك قال الوحي "إذاً لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع، السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح" – هذه هي الحقيقة الثمينة التي أصبح من امتيازنا التمتع بها بالإيمان، وإن كنا لا نستطيع إدراكها بعقولنا في الوقت الحاضر. لأن الإيمان يقودنا للنظر ليس إلى ذواتنا وما نستحقه من ثواب أو عقاب بسبب ما يصدر منها من خير أو شر، بل يقودنا للنظر إلى المسيح وما نستحقه من الرضا الإلهي الكامل بسبب وجودنا فيه أمام الله.

(ب) إن كلمة "الآن" في الآيات التي نحن بصددها، تثبت أن النجاة من الدينونة الأبدية لا تتوقف على السلوك بالروح بل على الوجود في المسيح، أو بالحري على الإيمان الحقيقي بشخصه. لأنه لو كانت هذه النجاة تتوقف على السلوك بالروح، لما كنا نحصل عليها الآن، كما تنص الآيات التي نحن بصددها، بل كنا نحصل عليها بعد انتقالنا من العالم الحاضر، إذا ثبت أننا سلكنا بالروح. وإذا كان ذلك كذلك، اتضح لنا أن السلوك بالروح ليس شرطاً للنجاة من الدينونة الأبدية، بل هو الوصف العام للمؤمنين الحقيقيين كما ذكرنا.

(جـ) إن "روح الحياة" هو اسم آخر للروح القدس، الذي يسكن في المؤمنين الحقيقيين بمجرد إيمانهم. و "ناموس روح الحياة" أو الحري المبدأ الذي يسير عليه الروح القدس، هو أنه يعتق هؤلاء المؤمنين من سلطة الخطية الكامنة فيهم ويؤهلهم للتوافق مع الله في صفاته السامية، وبذلك تتم أو تتحقق مطالب ناموس الله الأدبي فيهم، إذ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

يستطيعون بعمل الروح القدس في نفوسهم أن ينفذوها، وأن ينفذوها على مستوى أعلى من المستوى الذي كان يعيش فيه أتقياء اليهود من قبل، كما كانت الحال مع زكا (مثلاً)، فإنه عند ما قبل المسيح وآمن به، استطاع أن يعمل صلاحاً أكثر مما كان الناموس يتطلبه منه ومن غيره (لوقا 19: 1 – 10).

(د) إن كلمة "إن" في قول الرسول لهؤلاء المؤمنين "أما أنتم فلستم في الجسد بل في الروح، إن كان روح الله ساكناً فيكم" لا يقصد بها عدم تأكد الرسول من وجود روح الله في المؤمنين المذكورين، بل تنبيه أذهانهم إلى حقيقة وجود هذا الروح فيهم – ومن ثم فقوله هذا، يشبه كل الشبه قوله لمؤمني كولوسي "إن كنتم قد قمتم مع المسيح، فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس" (كولوسي 3: 1)، فإنه لا يقصد به عدم التأكد من قيامتهم الشرعية مع المسيح [لأنهم جميعاً كانوا مثل غيرهم من المؤمنين الحقيقيين، قد قاموا شرعاً معه منذ إيمانهم الحقيقي به. فقد قال الرسول عن نفسه وعنهم إن الله "أقامنا معه (أي مع المسيح) وأجلسنا معه في السماويات في المسيح" (أفسس 2: 4)] بل يقصد به تنبيه أذهانهم إلى حقيقة قيامتهم مع المسيح، الأمر الذي يلزمهم بأن يهتموا بما فوق لا بما على الأرض.

(هـ) إن غير المؤمنين والمؤمنين بالاسم هو وحدهم الموجودون أمام الله في الجسد (أو بالحري في الطبيعة العتيقة)، لأن الروح القدس ليس ساكناً فيهم بل ولا علاقة لهم به، وأشخاص مثل هؤلاء لا يستطيعون طبعاً أن يرضوا الله على الإطلاق. ونظراً لأن الروح القدس هو نفسه روح المسيح (1 بطرس 1: 11)، فإن هؤلاء

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

الأشخاص أيضاً لا يكون المسيح لهم ولا يكونون هم للمسيح، وبالتبعية لا يكون لهم نصيب في البركات المترتبة على كفارته.

(و) إن المؤمنين الحقيقيين من شأنهم أن يعيشوا حسب الروح وليس حسب الجسد (كما ذكرنا فيما سلف)، ولكن إن سلكوا حسب الجسد (أو بالحري انقادوا باستمرار وراء أهوائه)، فإنهم سيموتون. ولكن إن كانوا بالروح يميتون أعمال الجسد فسيحيون[1] – والرسول لا يقرر بقوله هذا، أن هؤلاء المؤمنين سيعيشون حسب الجسد ويهلكون (لأنه قال عنهم من قبل إنهم سالكون ليس حسب الجسد بل حسب الروح، وإنه لا دينونة عليهم على الإطلاق)، بل يقرر المبدأ العام الذي وضعه الله لكل الناس على السواء. وهذا المبدأ هو "أن ما يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضاً"، وذلك لكي يبذل جميع المؤمنين الحقيقيين كل ما في وسعهم لإماتة أعمال الجسد في كل حين، وجعل

[1] – مما تجد الإشارة إليه في هذه المناسبة أن بعض الشراح يقولون إن الموت هنا يراد به الموت الجسدي تحت التأديب الوارد ذكره في (1 كورنثوس 11: 30 – 31) والذي يمنع المؤمنين الحقيقيين إذا أهملوا في سلوكهم من مواصلة الخدمة للرب في العالم الحاضر، كما يحرمهم من الأكاليل التي كان من الممكن أن يحصلوا عليها في العالم الآخر، لأن هؤلاء المؤمنين لا يتعرضون للدينونة الأبدية بفضل كفارة المسيح. كما يقولون إن الحياة هنا يراد بها الحياة السعيدة مع الله في الوقت الحاضر الوارد ذكرها في (مزمور 30: 5)، لأن الحياة الأبدية هي هبة مجانية لهؤلاء المؤمنين وليست أجرة عن عمل صالح من أعمالهم لكن وإن كان السلوك حسب الروح يجلب إلى المؤمنين الحقيقيين الحياة السعيدة مع الله ابتداء من ا لوقت الحاضر، والسلوك حسب الجسد (لو فرضنا جدلاً أنهم سلكوا بحسبه)، يجلب عليهم قضاء الموت العاجل، غير أن الرسول كما يتضح من الإصحاح المقتبسة منه الآيات التي نحن بصددها، لا يتحدث عن العقاب والثواب في هذا العالم، ولذلك فالشرح الوارد أعلاه، هو الصواب أو القريب من الصواب.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

حياتهم باستمرار حياة الشركة الروحية مع الله" لا خشية التعرض للهلاك الأبدي (لأن هذا الهلاك قد عبر عنهم إلى الأبد بفضل كفارة المسيح الدائمة الأثر)، بل لكي يكون سلوكهم متوافقاً مع مقامهم السامي في المسيح، لأجل مجد الله دون سواه.

10- قال الرسول بولس لتلميذه تيموثاوس: "لاحظ نفسك والتعليم، لأنك إن فعلت هذا، تخلص نفسك والذين يسمعونك" (1 تيموثاوس 4: 16) وقال عن "النساء إنهن سيخلصن بولادة الأولاد، إن ثبتن في الإيمان والمحبة والقداسة مع التعقل" (1 تيموثاوس 2: 15).

المعنى (أ) إن بولس الرسول يشهد عن تلميذه تيموثاوس أن إيمانه كان بلا رياء (2 تيموثاوس 1: 4)، ومن ثم كان مؤمناً حقيقياً له حياة أبدية بفضل كفارة المسيح، وإذا كان الأمر كذلك، أدركنا أن الرسول كان يحرضه على ملاحظة نفسه والتعليم، لا لكي يخلص من قصاص الخطية، بل لكي يخلص من ربقة المسؤولية الملقاة على عاتقه (من جهة الناس الذين دعاه الله للمناداة بالإنجيل بينهم) وذلك بإظهار المسيحية بسموها وطهارتها في حياته، حتى يقبلوا إليها ويفيدوا منها، لأن الناس لا يفهمون الإنجيل فهماً حقيقياً إلا إذا كان الذين ينادون لهم به أشخاص يحيون حياة القداسة والطهارة.

(ب) أما الآية الثانية فقد قيلت بمناسبة الإشارة إلى الحكم الذي أصدره الله على حواء، [وهو تكثير أتعاب حبلها وولادتها الأولاد بالأوجاع (تكوين 3: 16)] بسبب تصديقها للشيطان وتنفيذها لمشورته. ولكن المؤمنات الحقيقيات من بناتها

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

أعطى الله لهن الوعد بالخلاص من هذه الأتعاب والأوجاع، إذا ثبتن في الإيمان والمحبة والقداسة مع التعقل – ومن البديهي أن يكون الأمر كذلك، لأن الوحي خصّ بهذا الخلاص النساء المتزوجات دون غيرهن.

ولكي لا ندع مجالاً للشك أمام أحد من جهة هذا الشرح نقول، إن كلمة الخلاص لا ترد في الكتاب المقدس بمعنى الخلاص من قصاص الخطية وسلطانها أو من الطبيعة العتيقة والعالم فحسب، بل ترد أيضاً بمعنى الخلاص من الضيقات والآلام، فقد قال الرسول لأهل فيلبي "لأني أعلم أن هذا يؤول لي إلى خلاص بطلبتكم ومؤازرة روح يسوع المسيح" (1: 19)، ومن ثم لا مجال للظن بأن الخلاص من قصاص الخطية يكون بالإيمان والأعمال كما ذكرنا.

11- قال يوحنا الرسول: "إن علمتم أنه بار هو (أي الله)، فاعلموا أن كل من يصنع البر مولود منه" (1 يوحنا 2: 9).

المعنى: إن الإنسان لا يستطيع بطبيعته أن يعمل البر الذي يتوافق مع كمال الله، فقد قال الوحي" ليس بار، ليس ولا واحد" رومية 3: 10)، لأن هذا البر هو الامتناع عن كل خطية والقيام بكل عمل صالح، أو بالحري هو التوافق مع الله في صفاته الأدبية السامية. كما أن الفعل "يصنع" الوارد في الآية التي نحن بصددها يدل على الحدث الذي يعمل عادة، ولذلك يكون معناها أن الإنسان الذي من عادته (أو بالحري من طبيعته) أن يحيا حياة التوافق مع الله في صفاته المذكورة، يكون مولوداً منه – وهذا هو ما نبرنا عليه فيما سلف، لأن المولود من الله يسكن فيه روح الله، ومن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

يسكن فيه روح الله، يحيا عادة الحياة التي يريدها الله، لذلك لا يجوز أن تتخذ هـــذه الآية دليلاً على أن من يقوم بمجرد الصوم أو الصلاة أو الصدقة يكون مولوداً من الله، لأن كثيرين يقومون بهذه الأعمال، ومع ذلك يحيون حياة الشر والفساد، الأمر الذي يدل على أنهم ليسوا مولودين من الله، وليست لهم حياة أبدية تبعاً لذلك.

12- قال المسيح: "من يغلب فسأعطيه أن يأكل من شجرة الحياة الـــتي في وسط فردوس الله". و "من يغلب فلا يؤذيه الموت الثاني". و"من يغلب فسأعطيه أن يأكل من المن المخفي". و "من يغلب ويحفظ أعمالي إلى النهاية فسأعطيه سلطاناً على الأمم". و"من يغلب فذلك سيلبس ثياباً بيضاً ولن أمحو اسمه من سفر الحياة". و"من يغلب فسأجعله عموداً في هيكل إلهي". و"من يغلب فسأعطيه أن يجلـــس معـــي في عرشي" (رؤيا 2 – 3).

المعنى (أ) إن الإصحاحين الثاني والثالث من سفر الرؤيا يتحدثان عن الكنيسة، ليس بوصفها جسد المسيح المكون من المؤمنين الحقيقيين فحسب، بل كما هي معروفة في العالم الحاضر جامعة لمؤمنين حقيقيين ومؤمنين بالاسم، كما يتضح من (رؤيا 2: 22، 3: 1، 3: 16). ومن ثم فمثلها هنا مثل ملكوت السموات الوارد ذكـــره في (متى 13 و 25)، والذي يتكون من مؤمنين بالحق ومؤمنين بالاسم. وإذا كان ذلك كذلك، أدركنا أن العبارة "من يغلب" الواردة في الآيات السابق ذكرها يراد بها "من يكون مؤمناً حقيقياً"، لأن كل واحد من المؤمنين الحقيقيين له نصـــيب في الغلبـــة، فمكتوب "وهذه هي الغلبة التي تغلب العالم، إيماننا" (1 يوحنا 5: 4)، ومكتوب "من

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

يغلب العالم إلا الذي يؤمن أن يسوع هو ابن الله" (1 يوحنا 5: 5). وعلى القدر الذي يحرزه المؤمن الحقيقي من الغلبة، تكون له المكافأة. والمكافأة ليست هي الحياة الأبدية، بل إنها جزاء خاص يحصل عليه هذا المؤمن بجانب الحياة الأبدية، لأن هذه الحياة هي هبة مجانية من الله له، على أساس كفارة المسيح.

(ب) أما من جهة الآيتين "من يغلب فلا يؤذيه الموت الثاني" و "من يغلب لن أمحو اسمه من سفر الحياة"، اللتين يظن البعض أنهما تدلان على أن الحياة الأبدية أجرة للأشخاص الذين يغلبون الشر في العالم الحاضر، ففضلاً عن أنه ليس هناك مؤمن معصوم من الخطية الأمر الذي لا يدع مجالاً لهذا الظن، نقول: إن الآية الأولى قيلت بمناسبة الاضطهاد الذي كان يتعرض له المسيحيون في سميرنا (رؤيا 3: 10)، والثانية قيلت بمناسبة تعرض المسيحيين في ساردس للاكتفاء بالمظهر الديني دون جوهره (رؤيا 3: 1)، ولذلك فالغلبة الواردة في الآية الأولى يراد بها الاعتراف العلني بالمسيح وعدم إنكار اسمه، والغلبة الواردة في الآية الثانية يراد بها المثابرة على التمسك بالحق وعدم التأثر بتيار المسيحية الاسمية. والعملان الأول والثاني من أهم مظاهر الإيمان الحقيقي، الذي هو الشرط الوحيد للخلاص كما ذكرنا.

(جـ) وإذا كان ذلك كذلك، يكون المسيح بهاتين الآيتين كأنه يقول للمؤمنين "إذا تعرضتم للموت الجسدي في العالم الحاضر بسبب الاضطهاد، فهذا أمر يجب ألا يفت في عضدكم، إذ أن كل الناس سيموتون. لكن الأمر المهم الذي يجب أن تضعوه نصب أعينكم، هو أن الموت الثاني (أو بالحري العذاب الأبدي) سوف لا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

يكون له سلطان عليكم". و "إن لم تدون أسماؤكم في السجلات الدينية الأرضية مثل بعض المسيحيين بالاسم"، فإن هذا ليس بأمر ذي بال، إذ يكفيكم فخراً أن تعلموا أن أسماءكم مسجلة بحروف من نور في سفر الحياة الأبدية، ولن تمحى منه على الإطلاق.

ومن البديهي أن يكون الأمر كذلك، لأن الاستشهاد من أجل المسيح ومقاومة المسيحية الاسمية، وإن كانا عملين عظيمين، لكن لا يستطيعان التكفير عن خطية واحدة من خطايا القائمين بهما، أو تأهيلهم للتوافق مع الله في صفاته السامية، لأن الذي يقوم بالعمل الأول هو كفارة المسيح، والذي يقول بالعمل الثاني هو حياة المسيح في النفس، كما ذكرنا مراراً وتكراراً.

13- قال يوحنا الرسول: سمعت صوتاً من السماء قائلاً لي "اكتب طوبى للأموات الذي يموتون في الرب منذ الآن، نعم يقول الروح لكي يستريحوا من أتعابهم وأعمالهم تتبعهم" (رؤيا 14: 13).

المعنى (أ) إن وصف هؤلاء الناس بأنهم "يموتون في الرب" دليل على أنهم كانوا يحيون فيه أثناء وجودهم على الأرض، لأن الذين يموتون في المسيح لا بد أن يكونوا قد عاشوا فيه، أو بالحري آمنوا به إيماناً حقيقياً – فهؤلاء الأشخاص إذاً ستكون لهم الحياة الأبدية مع المسيح، ليس بسبب أعمالهم، بل بسبب إيمانهم به إيماناً حقيقياً. أما الأعمال الصالحة التي قاموا بها، فإنها "تتبعهم"، أو بالحري لا يضيع أجرهم عنها، بل سيأخذونه كاملاً من يد الرب في هيئة أكاليل خاصة، غير أن هذا الأجر ليس هو الحياة الأبدية، بل هو مكافأة لهم بالإضافة إلى هذه الحياة، كما ذكرنا فيما سلف.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

(ب) ومما تجدر الإشارة إليه في هذه المناسبة، أنه بالرجوع إلى الإصحاح المقتبسة منه هذه الآية، يتضح لنا أن الأشخاص المذكورين، هم الأتقياء الذين سيجتازون الضيقة العظيمة[1] التي ستحل على الأرض في الأيام الأخيرة. ونظراً لاعتقاد هؤلاء الأشخاص أنهم بموتهم قد حرموا من بركات ملك المسيح الألفي، أعطاهم الله الوعد السابق ذكره حتى لا يحزنوا بل يطمئنوا ويفرحوا.

ثانياً ــ الآيات الواردة في البشائر الأربع

قال المسيح: "فإنه تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته، فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة" (يوحنا 5: 28 و 29).

المعنى: إن الإنسان بحسب طبيعته البشرية العتيقة لا يسكن فيه، أي في جسده، شيء صالح (رومية 7: 18)، ولذلك فإن الصالحات (أو بالحري الصالحات التي لا تشوبها شائبة في نظر الله) لا تصدر إلا من القلب الذي يكمن فيه الصلاح. فقد قال المسيح في موضع آخر "الإنسان الصالح من الكنز الصالح في القلب، يخرج الصالحات"

[1] – الضيقة العظيمة (رؤيا 7: 14) سوف تؤثر سبع سنوات على الناس بصفة عامة واليهود بصفة خاصة (متى 23: 32 – 36 واتسالونيكي 2: 14 – 16). وذلك لصلبهم المسيح ورفضهم وصايا الله. ومن ثم تسمى هذه الضيقة "ضيقة يعقوب". وفي هذه الضيقة تنتشر الحروب والمجاعات والأوبئة، كما سيظهر المسيح الكذاب والشخص المعبر عنه بالوحش السياسي. وحينئذ يرجع نفر من أتقياء اليهود إلى النبوات ويعرفون أن المسيح الذي صلبه آباؤهم هو حقاً مسيح الله، (متى 24: 4 –13) فيؤمنون بشخصه. وفي نهاية الضيقة المذكورة يتكتل كل الأشرار ضد الله، فيأتي المسيح ويقضي عليهم جميعاً، ويؤسس ملكوته على الأرض (رؤيا 19: 20 متى 24)، ملكوت البر والسلام.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

(متى 12: 25)، وقلب مثل هذا لا يوجد إلا في المؤمنين الحقيقيين لأنهم بسبب ولادتهم من الله يصيرون شركاء في طبيعته الأدبية، ويمكن أن تصدر منهم هذه الصالحات. ولذلك فإنهم سيخرجون من قبورهم إلى قيامة الحياة، عند مجيء المسيح في المرة الثانية كما ذكرنا فيما سلف.

2- إن المسيح قال لسمعان الفريسي عن المرأة الخاطئة: قد غفرت لها خطاياها الكثيرة لأنها أحبت كثيراً. (لوقا 7: 46).

المعنى: إن المسيح تحدث مع سمعان الفريسي عن محبة هذه المرأة بما يفهم منه أن محبتها هي السبب في غفران خطاياها، ليس لأن محبتها في ذاتها هي السبب في ذلك، بل لأن سمعان لم يكن يرى الإيمان الحقيقي الذي كان في قلبها، والذي كان المسيح يراه وعلى أساسه منحها الغفران. ومن البديهي أن يكون الأمر كذلك، لأن المرأة المذكورة لم تكن لتحب المسيح لولا أنها آمنت به أولاً في قلبها. والدليل على ذلك أن المسيح لم يقل لها: محبتك قد خلصتك، بل قال لها "إيمانك قد خلصك. اذهبي بسلام" (لوقا 7: 50).

3- إن المسيح سيقول لملائكته عن العبد الذي لم يستثمر الوزنة التي أخذها "اطرحوه في الظلمة الخارجية. هناك يكون البكاء وصرير الأسنان" (متى 25: 14 – 30).

المعنى (أ) الوزنة التي لم يستثمرها هذا العبد لا ترمز إلى الإيمان كما يعتقد القائلون بالإيمان والأعمال، وذلك لسببين (1) أن المسيح أعطى العبدين الآخرين

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

واحداً خمس وزنات والآخر وزنتين، والحال أن الإيمان واحد (أفسس 4: 5، 1 بطرس 1: 1) (2) إن المسيح وإن كان قد عمل الخلاص لكل الناس، لكنه لا يضع الإيمان الحقيقي (الذي يؤدي إلى الحصول على هذا الخلاص) في نفوسهم جميعاً، بل يضعه فقط في نفوس الذين يطلبونه بإخلاص منهم[1]. وإذا كان الأمر كذلك، فالوزنات لا تكون إلا رمزاً للمواهب الذهنية التي يعطيها الله للناس عامة كل حسب استعداده، وبها يمكن لكل منهم (لو كان مخلصاً للحق) أن يعرف أنه خاطئ، وأنه في حاجة إلى الخلاص من سلطة الخطية ومن دينونتها، وأنه لا خلاص له من هذه وتلك إلا بالمسيح. فإذا أقبل بعد ذلك بقلبه إليه وآمن به إيماناً حقيقياً، تكون له الحياة الأبدية، كما يكون في وسعه أن يثمر أثماراً صالحة في قدر طاقته، وإذا لم يؤمن يكون له الشقاء الأبدي وبئس المصير، لأنه لا يستطيع أن يكفر عن خطية واحدة من خطاياه، مهما أكثر من الأعمال الصالحة.

(ب) كما أننا إذا رجعنا إلى الإصحاح المقتبسة منه هذه الآية، نرى أن العبد الذي نحن بصدده، فضلاً عن أنه لم يستثمر الوزنة التي أعطاها سيده له، قد أهان سيده إهانة بالغة، إذ قال له "يا سيد: عرفت أنك إنسان قاس، تحصد من حيث لم تزرع، وتجمع من حيث لم تبذر" (متى 25: 14)، ولذلك لا يكون هذا العبد مثالاً لأي

[1] – ومن البديهي أن يكون الأمر كذلك، وإلا لكان هناك عذر للذين لا يخلصون بدعوى أن الله لم يضع في نفوسهم الإيمان الحقيقي بالمسيح، مثلما فعل مع غيرهم، والحال أن نعمة الله وإن كانت ترحب بكل الناس وتهيء لهم جميعاً سبيل الخلاص، غير أنه ليس من شأنها أن تؤثر في نفوس الذين يرفضونها ويتحولون عنها.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

إنسان به ذرة من الإيمان، لأن مثل هذا الإنسان، حتى إن تعذر عليه تنفيذ وصية المسيح، لا يمكن أن يهينه أو يرميه بالظلم أو القسوة على الإطلاق.

4- إن الله (المرموز له بالملك الذي عمل وليمة العرس) سيقول لخدامه عن الإنسان الذي لا يكون مرتدياً لباس العرس "اربطوا رجليه ويديه، واطرحوه في الظلمة الخارجية، هناك يكون البكاء وصرير الأسنان" (متى 22: 1 – 13).

المعنى: (أ) هذا اللباس لم يكن من المفروض على الإنسان المذكور أن يأتي به من عندياته، بل أن يتناوله مجاناً من الملك، إذ أن هذا الإنسان وغيره من الذين دخلوا العرس، كانوا من الفقراء المعدمين الذين يقفون في مفارق الطرق لكي يستعطوا (متى 22: 10، لوقا 14: 21)، ولذلك كان الملك هو الذي يأمر بتقديم لباس العرس له ولهم، حتى يكونوا في الحالة التي تتناسب مع مقامه الملكي. وإذا كان الأمر كذلك، فإن هذا اللباس لا يكون رمزاً للأعمال الصالحة كما يعتقد القائلون بالإيمان والأعمال، بل رمزاً للبر الإلهي الذي يكسو به الله كل المؤمنين الحقيقيين (أشعيا 61: 10، رومية 3: 21 – 22)، حتى يكونوا أهلاً للوجود معه إلى الأبد.

(ب) فالإنسان الذي نحن بصدده، يمثل إذاً الشخص الذي يعتقد أنه أفضل من غيره من الناس، وأنه يستطيع أن يدخل إلى السماء بواسطة أعماله الصالحة، وهو لا يدري أن أعماله هذه مهما كانت قيمتها، هي في نور قداسة الله أثمال بالية قذرة (أشعيا 64: 6)، لأنها علاوة على تفاهتها بالنسبة إلى وجود الله وفضله اللذين لا حد

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

لهما، فهي ملطخة بشرور الطبيعة العتيقة ونقائصها، الأمر الذي يجعلها غير صالحة للتكفير عن خطايا فاعلها، أو تأهيله للتوافق مع الله في صفاته العلوية السامية.

5- إن المسيح سيقول للعذارى الجاهلات اللاتي لم يأخذن زيتاً معهن في آنيتهن "الحق الحق أقول لكنّ: إني ما أعرفكن" (متى 25: 1 – 30).

المعنى (أ) الزيت المذكور في هذه الآيات ليس رمزاً للأعمال الصالحة، كما يعتقد القائلون بالإيمان والأعمال، بل رمز للروح القدس الذي يسكن في المؤمنين الحقيقيين دون غيرهم (1 كورنثوس 6: 19)، وذلك للأسباب الآتية: (1) إن الزيت هو الذي كان يمسح به الملوك والأنبياء والكهنة في العهد القديم (خروج 29: 7، 2 صموئيل 5: 3)، للدلالة على تأييد الروح القدس لهم في الأعمال التي دعاهم الله للقيام بها (2) إن الوحي يعلن لنا أن المسحة (أو بالحري الزيت) هي التي تعلم المؤمنين (1 يوحنا 2: 20 – 27)، والذي يعلم المؤمنين ويرشدهم هو الروح القدس (يوحنا 14: 25) (3) إن الروح القدس يسكن في نفوس المؤمنين الحقيقيين (1 كورنثوس 3: 16) ولا يعلم العالم عن وجوده فيهم شيئاً (يوحنا 14: 24)، ولذلك يليق أن يشبه بالزيت الذي كان في أنية الحكيمات، لأن هذا الزيت لم يكن معروفاً لأحد غيرهن (4) إن الحكيمات والجاهلات كن سواء في ا لمظاهر الخارجية (فالكل كن عذارى للدلالة على انتسابهن الظاهري للمسيح، والكل أخذه مصابيحهن للدلالة على شهادتهن الخارجية له، والكل خرجن للقائه للدلالة على معرفتهن بالحق الإلهي الخاص بمجيئه)، أما الفارق الوحيد بينهن، فهو أن الحكيمات كان لديهن زيت في آنيتهن دون

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

الجاهلات. ولذلك لا جدال في أن الزيت ليس رمزاً للأعمال الصالحة، بل هو رمز للروح القدس، لأنه هو الجوهر الباطني الوحيد الذي يميز المؤمنين الحقيقيين عن المؤمنين بالاسم كما ذكرنا.

فمثل العذارى لا يدل إذاً على أن الحياة الأبدية تتوقف على الإيمان والأعمال، بل يدل على أن المؤمنين بالاسم قد يكونون مثل المؤمنين الحقيقيين في المظهر الخارجي. فقد يصلون ويصومون ويتصدقون مثلهم، ومع ذلك يكونون خالين من الروح القدس بسبب عدم إيمانهم إيماناً حقيقياً بالمسيح، ومن ثم لا تكون لهم حياة أبدية على الإطلاق.

(ب) أما القول [إن العذارى الجاهلات لا بد أنه كان لديهن شيء من الزيت في مصابيحهن عندما خرجن للقاء العريس، كما أنهن استطعن أن يشترين زيتاً بعد دخول الحكيمات إلى العرس، ومن ثم يكنّ رمزاً للمؤمنين الحقيقيين الذين يمكن أن يهلكوا بسبب خطاياهم أو عدم استعدادهم]، فلا يجوز الأخذ به للأسباب الآتية:

(1) ليست هناك كلمة في مثل العذارى بدل على أن مصابيح الحكيمات أو الجاهلات كانت مضاءة عندما خرجن للقاء العريس (لأنهن جميعاً أخذن في إصلاح مصابيحهن عندما سمعن بقدومه)، ومن ثم فمن المحتمل أن يكن جميعاً قد خرجن من بيوتهن قبل حلول الظلام ومعهن المصابيح، وذلك دون أن يخطر ببال الجاهلات أن يأخذن زيتاً.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

(2) إن الروح القدس (الذي يرمز له بالزيت) لا يشترى بالمال، وليس هناك باعة له على الإطلاق، بل الله وحده هو الذي يعطيه لكل من يؤمن إيماناً حقيقياً، ومن ثم فما قيل عن الجاهلات بشأن شراء الزيت وعدم السماح لهن على الرغم من حصولهن عليه، بالدخول إلى العرس بعد الحكيمات، هو مجرد إشارة إلى أنه لا مجال للقبول أمام الله بعد انغلاق الباب[1]، مهما كانت الظروف والأحوال.

(3) فإذا أضفنا إلى ما تقدم أن المسيح قال للجاهلات "لا أعرفكن"، اتضح لنا أنهن رمز للمؤمنين بالاسم الذين ليست لهم علاقة حقيقية بالمسيح، لا سيما وأن الجهل المسند إليهن هو ذات الجهل المسند إلى هؤلاء المؤمنين، فقد قال المسيح لهم "أيها العميان والجهال" (متى 23: 17).

(جـ) كما أن القول [إن العذارى الجاهلات رمز للمؤمنين الحقيقيين لأنه كان لديهن زيت، ولكن بسبب إهمالهم لا يتمتعون بالاختطاف بل يتمتعون فقط بالملك الألفي على الأرض] لا نصيب له من الصواب للأسباب الآتية:

(1) إن المسيح يقسم الناس في ملكوت السموات إلى قسمين لا ثالث لهما، وهذان القسمان هما الخراف والجداء، أو الزرع الجيد والزوان، أو السمك الجيد

[1] – هذا مع ملاحظة أن الأمثال التي نطق بها المسيح يجب أن تفهم بصفة عامة، دون أي محاولة لتطبيق كل كلمة فيها على الحقائق التي ترمز إليها هذه الأمثال، إذ من الواضح أن الأمثال تتطلب في صياغتها أموراً خاصة بها.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

والسمك الرديء، والقسم الأول له حياة أبدية والقسم الثاني نصيبه العذاب الأبدي، ومن ثم تكون الحكيمات من القسم الأول والجاهلات من القسم الثاني.

(2) إن الوحي يعلن لنا أن المؤمنين الحقيقيين ختموا جميعاً بالروح القدس ليوم الفداء (أفسس 4: 30)، ويوم الفداء هو يوم الاختطاف الذي تتغير فيه أجساد المؤمنين الحقيقيين إلى شبه جسد المسيح (رومية 8: 28)، ومن ثم سيكون لهم جميعاً امتياز التمتع بالاختطاف، لا سيما وقد أعلن الوحي بكل وضوح أنه عندما ينزل الرب من السماء سيقوم الأموات في المسيح أولاً، ثم يخطف الأحياء في المسيح جميعاً معهم في السحب لملاقاة الرب في الهواء (2 تسالونيكي 4: 16 – 17).

(3) إن وصف الجاهلات بأنهن عذارى هو مجرد إشارة إلى انتمائهن الظاهري للمسيح كما ذكرنا فيما سلف، وليس دليلاً على تكريسهن الحياة له، إذ أن هذا التكريس لا يتم إلا بعمل الروح القدس في النفس، وهؤلاء العذارى لم يكن يسكن فيهم الروح القدس كما سبقت الإشارة.

(4) أما عن إهمال بعض المؤمنين الحقيقيين في حياة التقوى الذي دعا المعترض إلى الرأي الذي نحن بصدده، فإنه يعرضهم للتأديب في الزمن الحاضر، كما يحرمهم من الأكاليل في الأبدية (1 كورنثوس 11: 30، ورؤيا 3: 10)، ولكن لا يحرمهم من الاختطاف والوجود مع المسيح في المجد السماوي (لأن بالاختطاف تتغير أجسادهم إلى صورة جسد المسيح في مجده)، كما اتضح لنا من البند الثاني، ولذلك ليس هناك مجال للرأي المذكور.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

6- إن المسيح سيقول لبعض الناس: "تعالوا إلي يا مباركي أبي رثوا الملك المعد لكم منذ تأسيس العالم. لأني جعت فأطعمتموني .... لأن ما فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر في فعلتم. وسيقول للبعض الآخر: اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته، لأني جعت فلم تطعموني .... لأن ما لم تفعلوا بأحد هؤلاء الأصاغر فبي لم تفعلوا. فيذهب هؤلاء إلى عذاب أبدي والأبرار إلى حياة أبدية" (متى 25: 23 – 46).

المعنى (أ) أخوة المسيح الأصاغر هم تلاميذه الذين كانوا معه وقتئذ، وهم أيضاً الذين ينادون باسمه في كل زمان، لا سيما في الأيام الأخيرة (لأن الإصحاح المقتبسة منه الآيات التي نحن بصددها يتحدث عن هذه الأيام)، ومن ثم يكونون هم الكارزين ببشارة الملكوت في كل المسكونة الوارد ذكرهم في (متى 24: 14)، أثناء الضيقة العظيمة التي ذكرنا شيئاً عنها فيما سلف وإذا كان ذلك كذلك، يكون الأشخاص الذين سيساعدون أخوة المسيح، هم الذين يقبلون بشارة الملكوت وقتئذ، والأشخاص الذين سيرفضون مساعدتهم، هم الذين يحتقرون هذه البشارة ويزدرونها.

وإذا نظرنا إلى هذه الآيات في ضوء الكتاب المقدس بصفة عامة، يتضح لنا أن الملك الوارد بها لا يراد به أمجاد السماء، بل ملك المسيح على الأرض عند مجيئه إليها في المرة الثانية، وذلك للأسباب الآتية (1) إن الحياة الأبدية هي هبة مجانية من الله للمؤمنين الحقيقيين وليست مكافأة عن صدقة أو عمل من الأعمال الصالحة (2) إن هذه الحياة معدة للمؤمنين المذكورين ليس منذ تأسيس العالم (كما تقول الآيات التي

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

نحن بصددها)، بل معدة لهم من قبل تأسيس العالم. فمكتوب أن الله باركهم بكل بركة روحية في السماويات قبل تأسيس العالم (أفسس 1: 3 – 5) (3) إن المكافأة التي سيمنحها المسيح للذين ساعدوا أخوته الأصاغر، ستكون (كما يتضح من الآيات السابقة التي نحن بصددها) ليس عند ذهابهم إلى السماء، بل عند مجيئه هو إلى الأرض (متى 25: 30) (4) إن الوحي يعلن لنا هنا أن جميع الشعوب (أبراراً وأشراراً) ستجتمع أمام كرسي المسيح (متى 25: 32)، وهذا لا يتحقق في السماء بل على الأرض، لأن الناس لا يكونون في السماء شعوباً مختلفة، كما أن الأشرار لا يدخلونها ويقفون على يسار المسيح لكي يحاسبوا عن أعمالهم، لأن السماء تزيل كل الفوارق الجنسية بين الشعوب، كما، أنه لا يدخلها سوى الأبرار في المسيح الذين لهم حياة أبدية معه.

(ب) وإذا كان ذلك كذلك، أدركنا أن المكافأة والدينونة الواردتين في الآيات التي نحن بصددها، ستكونان لأشخاص أحياء على الأرض عند مجيء المسيح للملك عليها. فالمكافأة هي فتح الباب أمام الذين ساعدوا أخوته السابق ذكرهم (أو بالحري قبلوا بشارة الملكوت التي كان هؤلاء ينادون بها) لكي يتمتعوا بالملكوت على الأرض. والدينونة هي طرح الذين احتقروا أخوة المسيح (أو بالحري رفضوا البشارة التي كان هؤلاء ينادون بها) في جهنم إلى الأبد ... غير أنه مما لا شك فيه أن الذين سيتمتعون بهذا الملكوت أشخاص لهم حياة أبدية، ليس لأنهم ساعدوا أخوة المسيح المذكورين (لأن هذا العمل كما نعلم لا يكفر عن خطية واحدة من خطايا فاعليه أو

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

يؤهلهم للتوافق مع الله في صفاته الأدبية السامية)، بل لأنهم أثبتوا بقبولهم لبشارة الملكوت أنهم يؤمنون بالمسيح إيماناً حقيقياً. ولذلك لا يجوز أن تتخذ هذه الآيات دليلاً على أن مجرد القيام بالأعمال الصالحة يهب فاعليها الحياة الأبدية.

(جـ) وملك المسيح على الأرض هو المعروف بالملك الألفي لأنه سيظل عليها ألف عام، وفي هذا الملك سيسود الرخاء والسلام جميع أرجاء العالم، وتنتشر معرفة الرب فيه انتشاراً عظيماً. وقد نادى بهذا الملك أشهر علماء المسيحية في القرون الثلاثة الأولى، مثل بابياس ويوستينوس وإيريناوس وكبريانوس ونيبوتي (الآباء في القرون الثلاثة الأولى للدكتور أسد رستم ص 185، والخريدة النفيسة للأسقف أيسوذوروس جـ 1 ص 229)، كما نادى به كثير من الأرثوذكس والإنجيليين في العصر الحديث، نذكر من الفريق الأول ابن كاتب قيصر (قانون الأرثوذكسية ص 180 – 183) وعريان مفتاح (الدرة البهية ص 62)[1]، أما القول بأن هذا الملك هو ملك معنوي وأنه يقصد به ملك المسيح على القلوب مدة انتشار الإنجيل على الأرض،

[1] – والإسلام يتفق معنا على أن المسيح سيأتي للملك، فقال البخاري إن ابن مريم سينزل حكماً عدلاً (حـ 2 ص 458). وقال البيضاوي إنه عند نزول المسيح من السماء يؤمن به أهل الملل جميعاً (تفسيره حـ 2 ص 128). وقال ابن الأثير إنه أثناء ملك المسيح على الأرض يرتع الأسد مع الإبل، والنمر مع البقر، والذئاب مع الغنم، وتلعب الصبيان بالحيات (التاريخ الكامل ص 155 و 161). وقال الرازي إن المسيح سيأتي إلى الأرض عند نهاية العالم ويقتل الدجال (تفسيره حـ 2 ص 458). وقال مسلم إن الشيطان عندما يرى عيسى ابن مريم يذوب كما يذوب الملح في الماء (مختار الإمام مسلم وشرح النووي ص 571).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

فليس له نصيب من الصواب[1]، كما يتضح من (رؤيا 20: 1 – 9، متى 25: 31 – 34) – هذا مع العلم بأن الملك المذكور هو للمسيح وليس لليهود كما يزعمون (مزمور 2: 8)، كما أن المسيح سيكون في أثنائه ليس على الأرض بل فوقها مشرفاً عليها، فأورشليم السماوية شيء وأورشليم الأرضية شيء آخر.

8- قال المسيح: "اصنعوا لكم أصدقاء بمال الظلم، حتى إذا فنيتم، يقبلونكم في المظال الأبدية" (لوقا 16: 9).

المعنى (أ) الكلمة اليونانية المقابلة للظلم في العبارة "مال الظلم" هي "أدكياس" وهذه الكلمة لا يراد بها المال المغتصب أو المسروق، بل المال غير البار، أو بالحري الخداع، أو غير البار بصاحبه"، ومن ا لبديهي أن يكون الأمر كذلك، لأن المال المغتصب أو المسروق يجب أن يعاد إلى صاحبه بأي وسيلة من الوسائل، إذ أنه إذا

[1] – وذلك للأسباب الآتية (أ) إن مدة انتشار الإنجيل ليست محدودة بزمن في الكتاب المقدس، فقد بلغت الآن ألفي سنة تقريباً بينما مدة ملك المسيح محددة بألف سنة فقط (ب) إن الشخص المعبر عنه بالوحش السياسي في الآيات الواردة في سفر الرؤيا لم يظهر بعد، وليس من المعقول أن يكون هو الشر (كما يقول بعض المسيحيين)، لأنه ليس هناك أشخاص رفضوا الشر وقتلوا بواسطة الأشرار ثم عادوا إلى الحياة مرة أخرى، كما يتضح من الآيات المشار إليها (جـ) إن الشيطان ليس مقيداً الآن كما هو وارد في هذه الآيات، بل هو طليق يعمل على إثارة الشر في كل مكان (د) في بدء ملك المسيح على الأرض سوف لا يكون للأشرار وجود عليها كما يتضح من (متى 13: 4)، والحال أن الأشرار كثيرون جداً في الوقت الحاضر (هـ) في أثناء ملك المسيح سيعم السلام كل الأرض وينتشر الرخاء فيها. كما سيعرف الرب كل الساكنين عليها، والحال أن العصر الذي نعيش فيه الآن فيه الحروب والمجاعات والكفر والإلحاد.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

احتفظ به من اغتصبه أو سرقه، تعرض لحلول قضاء الله عليه، وإن أعطاه للفقـــراء لا يكون له جزاء ما.

(ب) كما أن "المظال الأبدية" الوارد ذكرها في هذه الآية لا يراد بها السماء، وذلك للأسباب الآتية (1) إن كلمة المظال يعبر بها عن المساكن المؤقتة، أما السماء فباقية وثابتة إلى الأبد ويعبر عنها بالمدينة التي لها الأساسات (عبرانيين 9: 10) (2) إن حق الإنعام بالسماء والحرمان منها ليس في يد الفقراء (هذا على فرض أن لهم جميعاً نصيباً في السماء، الأمر الذي لا يتفق مع الواقع) كما هو وارد في الآية الـــتي نحـــن بصددها، بل في يد الله دون سواه (3) إن امتياز التمتع بالله في السماء لا يشـــترى بالمال لأنه أثمن من المال بما لا يقاس، ولذلك فإن الله لا يقدمه إلا هبه مجانية للـــذين يؤمنون به إيماناً حقيقياً (4) ليس هناك في السماء مجال لترحيب بعض الناس بالبعض الآخر، إذا أن كل الناس سيكونون تحت تأثير الله دون سواه، وإن كان هناك ترحيب، فيكون من الله وحده للمؤمنين الحقيقيين به (5) لو فرضنا جدلاً أن الفقراء الـــذين أعطيناهم صدقة هم من أهل السماء، وأن لهم أن يرحبوا بنا فيها، فليس من المعقول أنهم سيسبقوننا إليها حتى يقوموا بهذه المهمة، إذ قد ينتقلون إليها بعدنا بسنوات [1].

(جـــ) وإذا كان الأمر كذلك، فالراجح أن المراد بالمظال الأبدية، هو ملكوت المسيح على الأرض الذي تحدثنا عنه فيما سلف، والذي كان من الممكن أن يأتي به

[1] – أما الذين يفسرون المظال الأبدية بالسماء فيقولون إن كلمة "يقبلونكم". يراد بها أن الله يقبلكم. أو أن الملائكة تقبلكم، لكن هذا التفسير لا يتفق مع النص الكتابي.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

المسيح لليهود وقتئذ لو كانوا قد تابوا وقبلوا رسالته، لأن هذا الملكوت كان يرمز له قديماً بعيد المظال[1]، ومن ثم يكون معنى الآية التي نحن بصددها، إما أن الذين افتقروا (لأن هذا هو المعنى الأصلي للكلمة المترجمة "فنيتم"[2]) في هذا العالم ويكونون قد ساعدوا تلاميذ المسيح، فإن هؤلاء التلاميذ كانوا سيرحبون بهم في هذا الملكوت (لو كان المسيح قد أتى به وقتئذ). أو أن الذين يفتقرون بسبب الكوارث التي ستحل بالعالم مستقبلاً في الضيقة العظيمة، ويكونون قد قبلوا بشارة الملكوت وساعدوا أتباع المسيح القائمين بها، فأمدوهم بما يحتاجون إليه من كساء وطعام في الضيقة المذكورة، فإن أتباع المسيح هؤلاء سيذكرونهم عند ملك المسيح على الأرض ويرحبون بهم فيه، إزاء ما نالوه منهم من مساعدة وتعضيد من قبل – ومما يؤيد هذه الحقيقة أن مثل

---

[1] – عيد المظال هو العيد الأخير من الأعياد اليهودية القديمة التي أمر الله موسى النبي بإقامتها، وكان اليهود يفرحون في هذا العيد مع الأجانب الساكنين معهم مدة سبعة أيام (زكريا 14: 16)، كما كانوا يسكنون في هذه المدة في مظال مصنوعة من سعف النخل وأغصان الأشجار (لاويين 23: 24). وكان لهذا العيد أغراض هامة (الأول) تقديم الشكر لله من أجل غلات الأرض التي جاد بها عليهم، لأن هذا العيد كان يقع في نهاية موسم الحصاد (الثاني) المساواة بين ا لفقراء والأغنياء، لأنهم كانوا جميعاً يسكنون في مظال (الثالث) إزالة الفوارق الموجودة بين الأجناس البشرية، لأن الذين كانوا يمارسون هذا العيد كانوا من أجناس متعددة.

ولذلك كان هذا العيد رمزاً للملك في الألفي للسببين الآتيين (الأول) إن هذا العيد هو آخر الأعياد اليهودية القديمة، والملك الألفي هو آخر تدبيرات الله على الأرض (الثاني) إن جميع المؤمنين دون استثناء سيتمتعون في هذا الملك بخيرات الله الوافرة التي كان يرمز لها فيما سلف بالحصاد الذي تتجمع فيه المحصولات، كما ستزول من بينهم جميع الفوارق الجنسية والطبقية التي تسبب الحروب بينهم.

[2] – فقد وردت في الأصل اليوناني "اكليبيه" أي "متى فني"، أو بالحري متى "فني مالكم" والقرينة تدل على ذلك، لأن الوكيل الذي كان المسيح يتحدث عنه لم يفن، بل فني ماله.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

الوكيل المقتبسة منه الآية التي نحن بصددها، هو إشارة إلى اليوم الذي تنتهي فيه خدمتنا ونقف أمام الله لنعطى حساباً عن أعمالنا – غير أنه مما لا شك فيه أن الأشخاص المذكورين لهم حياة أبدية، لأنهم أثبتوا بقبولهم لبشارة الملكوت أنهم يؤمنون بالمسيح إيماناً حقيقياً، وهذا الإيمان هو الذي جعلهم يقبلون على مساعدة وتعضيد أتباعه، وذلك لا يجوز اتخاذ الآيات التي نحن بصددها دليلاً على أن مجرد القيام بالصدقة يهب الناس حياة أبدية.

(د) أما الاعتراض [بأن هذه المظال موصوفة بأنها أبدية، وأنها تبعاً لذلك تكون هي السماء بعينها، لأن هذه هي التي تظل إلى الأبد]، ففضلاً عن أنه لا مجال له على الإطلاق للأسباب التي ذكرناها في بند (ب)، نقول إن كلمة الأبدية كما ترد بمعنى اللانهائية، ترد أيضاً بمعنى فترة طويلة من الزمن من باب المجاز، فمثلاً: جاء في (الخروج 21: 5 – 6) "ولكن إن قال العبد: أحب سيدي وامرأتي وأولادي لا أخرج حراً، يقدمه سيده إلى الله ويقربه إلى الباب أو إلى القائمة ويثقب سيده أذنه بالمثقب، فيخدمه إلى الأبد". وجاء في (1 صموئيل 1: 22) "ولكن حنة لم تصعد لأنها قالت لرجلها متى فطم الصبي آتي به ليتراءى أمام الرب ويقيم هناك إلى الأبد" – فالأبد هنا لا يراد به اللانهائية، كما هو معلوم لدينا.

8- قال المسيح "لكن الذي يصبر إلى المنتهى، فهذا يخلص" (متى 24: 13)

المعنى (أ) بالرجوع إلى الإصحاح المقتبسة منه هذه الآية، يتضح لنا أن المسيح عندما نطق بها كان يتحدث عن الضيقة العظيمة، وفي هذه الضيقة سيرجع نفر من

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

اليهود الأتقياء إلى النبوات ويعرفون أن المسيح الذي صلبه آباؤهم هو حقاً مسيح الله، ومن ثم سوف يتجهون إليه ويؤمنون بشخصه، ضاربين عرض الحائط بسلطة المسيح الكذاب الذي سيظهر في الضيقة المذكورة ويجمع السلطة العالمية في يده، وبذلك يعرضون أنفسهم لاضطهادات وضيقات كثيرة. وإلى هؤلاء الأشخاص ترك المسيح هذه الرسالة "حينئذ يسلمونكم إلى ضيق ويقتلونكم وتكونون مبغضين من جميع الأمم من أجل اسمي، لكن الذي يصبر إلى المنتهي فهذا يخلص" أي يخلص من الاضطهادات والضيقات ويتمتع بعد ذلك بملك المسيح على الأرض، لأن هذا الملك يأتي بعد الضيقة العظيمة كما ذكرنا فيما سلف.

(ب) ومما يثبت أن الخلاص الوارد هنا، لا يراد به خلاص النفس من الدينونة الأبدية، بل الخلاص من الاضطهادات والضيقات الأرضية، الدليلان الآتيان (الأول) إن المسيح لم يقل بعد هذه الآية: ولو لم تقصر تلك الأيام لم تخلص نفس، بل قال "ولو لم تقصر تلك الأيام لم يخلص جسد" (متى 24: 22) والجسد عندما يخلص يعيش مع الناس على الأرض، بينما النفس عندما تخلص تعيش في عالم الروح مع الله. (الثاني) إن الصبر وإن كان من الصفات الطيبة التي يجب أن يتصف بها المؤمنون الحقيقيون، لكن الخلاص من الدينونة لا يعطى كمكافأة للصبر أو غيره من الصفات الطيبة، بل هو هبة مجانية من الله لهؤلاء المؤمنين بفضل كفارة المسيح التي حققت كل مطالب عدالة الله وقداسته.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

9- قال المسيح "فإن أعثرتك يدك أو رجلك فاقطعها وألقها عنك، خير لك أن تدخل الحياة أعرج أو أقطع من أن تلقى في النار الأبدية ولك يدان ورجلان. وإن أعثرتك عينك فاقلعها وألقها عنك، خير لك أن تدخل الحياة أعور من أن تلقى في جهنم النار ولك عينان" (متى 8: 9).

المعنى (أ) إن الوحي يعلن لنا أن سلوك المؤمنين الحقيقيين يجب أن يكون طاهراً كل الطهر، لأن هذا التصرف هو الذي يليق بدعوتهم ومقامهم، وفي الوقت نفسه هو الذي يبعث إلى نفوسهم بالراحة والابتهاج ويؤهلهم لعبادة الرب وخدمته في العالم الحاضر. ومن ناحية أخرى لأن الانحراف عن هذا السلوك يجلب إليهم البؤس والشقاء ويحول بينهم وبين خدمة الرب وإكرامه، كما يعرضهم للتأديب في هذا العالم (عبرانيين 12: 9) والحرمان من الأكاليل التي كان من الممكن أن يحصلوا عليها في العالم الآخر. ولكن حياة الطهارة ليست هي الثمن الذي يدفعونه للحصول على الحياة الأبدية، لأن ثمن هذه الحياة هو دم المسيح دون سواه؛ كما أعلن الوحي.

وإذا كان ذلك كذلك، فما المراد بالحياة الوارد ذكرها في الآية التي نحن بصددها؟ (الجواب) إذا وضعنا أمامنا (أولاً) أن المسيح عندما نطق بالآية التي أمامنا كان يتحدث مع اليهود عن ملكوت السموات (متى 8: 1)[1] الذي كانوا ينتظرونه،

[1] – يراد بملكوت السموات، دائرة الإيمان بالمسيح ملكاً على الأرض، لأننا إذا رجعنا إلى الآيات الخاصة بهذا الملكوت نرى أنه يضم مؤمنين حقيقيين ومؤمنين بالاسم (متى 13: 19 – 50، متى 25: 5)، وأن الفريق الأول سيتمتع بالمجد الأبدي وأن الفريق الثاني سيطرح في العذاب إلى الأبد – والحال أن السماء لا يوجد بها إلا المؤمنون الحقيقيون الذين لهم حياة أبدية مع الله.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

إذ أن الحياة الروحية في السماء إلى الأبد كانت بعيدة كل البعد عن أذهانهم بصفة عامة (اقرأ مثلاً 1 ملوك 2: 1، أشعياء 38: 18 – 19)[1] (ثانياً) إن الحياة الأبدية في السماء لا يكون فيها مؤمن أعور أو أعرج كما سيكون في الحياة الوارد ذكرها في هذه الآيات، إذ أن كل المؤمنين سيكونون في السماء كاملين في جسد روحي ممجد، مثل جسد المسيح نفسه (1 كورنثوس 15: 49) – أدركنا أن الحياة المذكورة، يراد بها الحياة السعيدة التي كان المسيح مزمعاً أن يعطيها لهم في ملكوته الذي كان ينادي لهم به، لو كانوا قد تابوا عن خطاياهم وقبلوا رسالته.

(ب) وبما أن المسيح كان يعلم منذ الأزل أن اليهود سيرفضونه في مجيئه الأول، يكون قد قصد بالآية التي نحن بصددها ليس فقط وجوب المحافظة على حياة القداسة لكي يدخلوا الحياة التي كان يريد أن يعطيها لهم، بل قصد أيضاً أن يحول أنظارهم، أو بالحري أنظار أبنائهم من بعدهم، عن الوثنية التي ستظهر في الضيقة العظيمة ممثلة في المسيح الكذاب [الذي ستكون له السلطة العليا على الأرض وقتئذ، حتى أن معظم الناس سيخضعون له ويسيرون في ركابه، إن لم يكن رغبة في التدين (حسب زعمهم)، فرغبة في البقاء على الأرض والحصول على لقمة العيش فيها (رؤيا 13: 11 – 17)] لكيلا تخدعهم أعينهم بمظاهر هذه الوثنية، أو تقودهم أرجلهم إلى

[1] – أما إبراهيم والذين ساروا في طريقه كانوا يعرفون هذه الحياة كل المعرفة (عبرانيين 11: 13)، وقد حصلوا جميعاً فعلاً عليها، ليس بأعمالهم بل بإيمانهم الحقيقي على أساس نعمة ا لله المجانية (عبرانيين 11: 1 – 38) – وطبعاً عدم معرفة باقي المؤمنين الحقيقيين قديماً بأن لهم حياة روحية في السماء، لا يحرمهم من هذه الحياة، لأن الله لا يعاملنا على أساس معرفتنا، بل على أساس نعمته الغنية، طالما كان هناك إيمان حقيقي به في نفوسنا.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

سلبها أو تمتد أيديهم إلى شيء من متعلقاتها، حتى يتمتعوا مع الأمناء في كل الشعوب بالحياة السعيدة في الملك الألفي الذي يلي الضيقة المذكورة. غير أنه مما لا شك فيه أن الأشخاص الذين ينفذون وصية المسيح هذه، لهم حياة أبدية، لأنهم بتضحيتهم بأعز ما لديهم في سبيل الإخلاص لله، يثبتون أنهم من المؤمنين الحقيقيين بالمسيح، وطبعاً سوف لن يتمتعون بهذه الحياة في السماء وهم عور أو عرج (إن كانوا قد قلعوا عيناً أو قطعوا رجلاً). بل وهم كاملون في المسيح كل الكمال، كما سبقت الإشارة.

(جـــ) أخيراً نقول: إذا وضعنا أمامنا أن المؤمنين الحقيقيين في كل الأمـــم لا يدخلون الحياة بل الحياة هي التي تدخل فيهم، وذلك بولادتهم من الله ولادة روحيـــة عند إيمانهم بالمسيح إيماناً حقيقياً وهم على الأرض، ومن ثم فإن دخولهم المنتظـــر لا يكون إلى الحياة بل إلى المجد، وذلك بمجرد مجيء المسيح في المرة الثانية لاختطافهم إليه (1 تسالونيكي 4: 13 – 17)، اتضح لنا بدليل قاطع أن "الحياة" الوارد ذكرها في الآية التي نحن بصددها، هي الحياة السعيدة التي كان المسيح عتيداً أن يأتي بها لليهود لو كانوا قد تابوا وقبلوه (أرميا 35: 7، أمثال 3: 2)، أو الملكوت الألفي الذي تحدثنا عنه فيما سلف[1]، ومن ثم لا مجال للظن بأن الخلاص من قصاص الخطية يكون بواسطة الإيمان والأعمال معاً كما ذكرنا.

[1] – يقول بعض المفسرين (إن الحياة هنا يراد بها السماء، وإن قطع الأعضاء المـــذكورة يـــراد بـــه المعنـــى المجازي)، وإن كان الكاتب يتفق معهم على الشطر الثاني من تفسيرهم لأن الخطية لا توجـــد فـــي الأعضـــاء الجسدية بل في الطبيعة البشرية، لكن لا يستطيع أن يتفق معهم على الشطر الأول منه، للأسباب التي ذكرهـــا أعلاه.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

ثالثاً ـ الآيات الواردة في العهد القديم

قال الله عن لسان النبي "إذا رجع البار عن بره وعمل إثماً وفعل مثل الرجاسات التي يفعلها الشرير (التي هي عبادة الأوثان المصحوبة بالدنس والنجاسة) أفيحيا؟ كل بره الذي عمله لا يذكره في خيانته التي خانها وفي خطيته التي أخطأ بها يموت .... وإذا رجع الشرير عن شره الذي فعل، وعمل حقاً وعدلاً، فهو يحي نفسه" (حزقيال 18: 24 – 27).

المعنى (أ) بالرجوع إلى الإصحاح المقتبسة منه هذه الآيات، يتضح لنا أن اليهود كانوا يريدون أن يعيشوا في الشر دون أن يوقع الله عليهم قصاصاً ما، وأنه إذا كان ولا بد من قصاص، فيجب إما أن يوزعه عليهم وعلى أولادهم، أو يحسب لهم صلواتهم وذبائحهم وعطاياهم (والتي كانت كلها رياء في رياء)، وحينئذ سوف يرى أنهم لا يستحقون قصاصاً ما.

ولذلك كان أمراً بديهياً أن يعلن الله لهم المبادئ العامة لرحمته وعدالته، لكي يظهر اعوجاجهم والتواء منطقهم. فقال لهم: إن الشرير الذي يتوب عن شره ويعمل حقاً وعدلاً يثبت أنه انصرف عن الشر واتجه إلى البر، ومن ثم فإنه يحيا. أما البار إذا فعل إثماً وعمل رجساً يكون قد تنكر لحياته الأولى ومال بقلبه إلى الشر، ومن ثم يكون مستحقاً للموت.

(ب) غير أننا إذا أمعنا النظر في القول "إن الشرير إذا فعل الحق والعدل يحي نفسه" يتضح لنا أن المراد به ليس أن الله يعطيه حياة أبدية بل أن هذا الشرير يمد في

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

أجل نفسه على الأرض فقط. ولا غرابة في ذلك فقد قال الوحي "لأن المستقيمين يسكنون الأرض والكاملين يبقون فيها" (أمثال 2: 21)، ومما يؤيد صحة هذا التفسير أيضاً أن الحياة مع الله في السماء كانت بعيدة كل البعد عن أذهان اليهود، كما أنها ليست مكافأة عن عمل صالح، بل هي هبة مجانية للمؤمنين الحقيقيين على أساس كفارة المسيح، وعلى هذا النسق فإن المراد بالقول "إن البار إذا رجع عن بره وعمل إثماً أو رجساً يموت"، أنه يعجل بانقراضه من الأرض. فقد قال الوحي للشرير "لماذا تموت في غير وقتك!" (جامعه 7: 16)[1]، ومن ثم فالغرض من هذه الآيات هو إعلان معاملة الله العامة مع البشر في العالم الحاضر، وذلك للمحافظة على قوانين المجتمع الذي يعيشون فيه، والتي لا تستطيع القوانين الأرضية المحافظة عليها في كل حين.

(جـ) وإذا كان ذلك كذلك، أدركنا أن المراد "بالبار" في الآيات التي نحن بصددها، ليس البار أمام الله (أو بالحري الشخص المولود منه والذي له تبعاً لذلك حياة أبدية معه)، بل البار في نظر الناس فحسب. ولا غرابة في ذلك فهناك أشخاص يعتبرون أبراراً لمجرد امتناعهم عن ارتكاب الفحشاء، أو لمساعدتهم بعض الفقراء، أو لقيامهم بالفروض الدينية الظاهرية، بينما هم في الواقع أشخاص خطاة بعيدة نفوسهم عن الله كل البعد. وقد أشار المسيح إلى هذا النوع من الأبرار، فقال إنهم لا يحتاجون

[1] – وطبعاً لهذه القاعدة شواذ، فقد يسمح الله بانتقال بعض الصديقين من الأرض وهم في مقتبل العمر، لكي ينجيهم من شر يرى أنهم سيتعرضون له لو ظلوا على الأرض طويلاً. وقد يطيل في عمر شرير، لكي يعطيه فرصة للتوبة، وذلك لفائدته وفائدة غيره من الناس.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

إلى التوبة (لوقا 15: 7)، أو بالحري يعتقدون أنهم لا يحتاجون إليها – ومن يعتقد أنه ليس في حاجة إلى توبة يكون شخصاً مدعياً للبر، لأن الكل أخطأوا وزاغوا وأعوزهم مجد الله، ومن ثم فإن جميع الناس في حاجة إلى التوبة.

ومما يثبت أن البار هنا، هو البار في نظر الناس كما ذكرنا، أن الوحي يقول عنه إنه إذا رجع عن بره، والحال أن البار الحقيقي في نظر الله، هو من له بر الله بالإيمان (حبقوق 2: 4، مزمور 51: 14)، وشخص مثل هذا لا يسند أعمال البر التي يقوم بها إلى ذاته، بل إلى نعمة الله العاملة فيه (فيلبي 2: 13، 1 كورنثوس 15: 10)، وكفانا دليلاً على ذلك أن الرسول الذي كان من جهة البر الذي في الناموس بلا لوم، قال عندما عرف المسيح "وليس لي بري الذي من الناموس، بل الذي بإيمان المسيح، البر الذي من الله بالإيمان" (فيلبي 3: 9)

الاعتراضات والرد عليها

1- من الخطأ أن نتمسك بشطر من آية ونترك الشطر الآخر منها، أو نتمسك بآية ونترك الآيات الأخرى الخاصة بموضوعها. ومن ثم يجب أن ندرس الآية "أما الذي لا يعمل، ولكن يؤمن بالذي يبرر الفاجر، فإيمانه يحسب له براً" (رومية 4: 5)، مع الآية "لأن غضب الله معلن من السماء على جميع فجور الناس وإثمهم" (رومية 1: 18). وأن ندرس الآية "لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان، وذلك ليس منكم هو عطية الله ... ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد" (أفسس 2: 8)، مع الآية "لأننا نحن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

عمله مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة، قد سبق الله فأعدها لكي نسلك فيها" (أفسس 2: 10).

الرد: إن المقدمة الموجودة في صدر هذا الاعتراض أمر يسلم به كل مخلص للحق، ونحن نوافق المعترض عليها كل الموافقة، ولذلك نقول.

(أ) إن الفاجر الذي يؤمن بالمسيح إيماناً، حقيقياً تولد نفسه من الله ولادة روحية يصبح بها شريكاً لله في طبيعته الأدبية (2 بطرس 1: 4)، ومن ثم لا يكون فاجراً بعد بل قديساً. أما إذا ظل فاجراً كما كان من قبل، فإنه لا يكون قد آمن بالمسيح إيماناً حقيقياً، ولذلك لا بد أن يحل عليه غضب الله.

(ب) إن الأعمال الصالحة التي أعلن الرسول عدم أهميتها أمام الله، هي الأعمال السابقة للإيمان الحقيقي، سواء أكانت صادرة من شخص ينتمي إلى الوثنية أم إلى المسيحية، لأن هذه الأعمال تكون ملوثة بنقائص الطبيعة العتيقة كما ذكرنا. وقد أشار إلى هذه الحقيقة (كتاب الخلاص في المفهوم الأرثوذكسي ص 59)، فقال "إن الأعمال التي تقلل النصوص المقدسة من أهميتها (أو بالحري تنفي أهميتها)، هي الأعمال غير المبنية على دم المسيح وفدائه، كأعمال غير المؤمنين والوثنين. أو أعمال بدون إيمان، أو أعمال سابقة على الإيمان" أما الأعمال الصالحة التي يسر الله بها ويقدرها، فهي الأعمال التي يقوم بها المؤمنون الحقيقيون بعمل الروح القدس في نفوسهم، وهؤلاء، بسبب الطبيعة الجديدة التي أخذوها من الله الغنية التي أحبهم بها.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

ومن ثم فالقول "اعمل صلاحاً لكي تخلص" ليس بصواب، أما الصواب فهو "اعمل صلاحاً لأنك قد خلصت".

2- إن كل المسيحيين مؤمنون بالمسيح، ومع ذلك سيهلك كثيرون منهم لأنهم لا يقومون بالأعمال الصالحة.

الرد: إن أساس الخلاف بين القائلين بأن الخلاص بالإيمان وبين القائلين بأنه بالإيمان والأعمال، هو اختلافهم في مفهوم الإيمان. فالفريق الثاني يرى أن الإيمان هو فقط الاعتراف بالمسيح رباً وفادياً. أما الفريق الأول فيرى بالإضافة إلى ذلك أن الإيمان هو الثقة القلبية في الخلاص الذي عمله المسيح، ثقة تولد النفس بها من الله ولادة روحية تؤهلها للتوافق معه في صفاته الأدبية. ومن ثم فكل من لا يتمتع بهذا الاختبار من المعترفين بالمسيح، لا يكون مؤمناً حقيقياً بل مؤمناً بالاسم، لأن إيمانه لا يكون حياً بل ميتاً، وبناء على ذلك يكون مثله أمام الله مثل الوثني تماماً، إذ أنه ليست لكليهما علاقة حقيقية به – ونظراً لأننا تحدثنا عن هذا الموضوع كثيراً في كتاب طريق الخلاص، نكتفي بما ذكرناه.

وقد أشار (كتاب الخلاص في المفهوم الأرثوذكسي ص 30) إلى هذه الحقيقة فقال "الإيمان اللازم للخلاص لا بد أن يكون إيماناً حياً، أما الإيمان الميت الخالي من الأعمال الصالحة لا يقدر أن يخلص أحداً". وإذا كان ذلك كذلك فالمؤمنون الحقيقيون لهم حياة أبدية، أما المؤمنون بالاسم فليست لهم هذه الحياة. حتى إن قاموا بالكثير من الأعمال الصالحة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

3- إن الرسول فضل المحبة على الإيمان فقال "إن كان لي كل الإيمان حتى أنقل الجبال وليست لي محبة، فلست شيئاً" (1 كورنثوس 13: 2)، كما قال "أما الآن فليثبت الإيمان والرجاء والمحبة، ولكن أعظمهن المحبة" (1 كورنثوس 13: 14).

الرد: (أ) إن الإيمان الذي يتحدث عنه الرسول في الآية الأولى، ليس إيمان الخلاص الذي يولد به المرء من الله ولادة روحية، والذي يظهر أول ما يظهر في المحبة لله والسعي لإكرامه، بل هو إيمان المعجزات. وبعض الناس كان لهم هذا الإيمان دون أن يكونوا مولودين من الله، ودون أن تكون لهم حياة أبدية تبعاً لذلك. فقد قال المسيح عنهم إنهم سيقولون له في اليوم الأخير "يا رب يا رب: أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة" فيجيبهم بالقول "إني لم أعرفكم قط. اذهبوا عني يا فاعلي الإثم" (متى 7: 22 – 23) ـ ويهوذا الاسخريوطي أوضح مثال لهؤلاء الناس، فالرب كان قد أعطاه مواهب معجزية مثل باقي التلاميذ، ومع ذلك لم يكن مولوداً من الله لأنه لم يكن مؤمناً حقيقياً[1]

(ب) أما من جهة الآية الثانية، ففضلاً عن المحبة الخالصة هي ثمر الإيمان الحقيقي الأمر الذي لا يدع مجالاً للاعتراض، نقول: لكي نفهم هذه الآية يجب أن ندرسها مع آيات أخرى سابقة لها. فقد قال الرسول "وأما النبوات فستبطل والألسنة

[1] – ولا مجال للاعتراض على ذلك، فإن الله له الحرية المطلقة في توزيع الثروة والذكاء والمواهب المعجزية على الناس حسب مشيئته ومقاصده التي لها مبرراتها لديه، ولكن الخلاص الأبدي هو للجميع على أساس الإيمان الحقيقي بالمسيح.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

فستنتهي والعلم فسيبطل، لأننا نعلم بعض العلم ونتنبأ بعض التنبؤ، ولكن متى جاء الكامل، فحينئذ يبطل ما هو بعض" (1كورنثوس 13: 7 – 6) – ومن هذه الآيات يتضح لنا أن الإيمان والرجاء سينتهيان، وسينتهيان عندما يأتي الرب ويغير شكل جسد تواضعنا لكي يكون على صورة جسد مجده، ويدخلنا بعد ذلك إلى بيت الآب لكي نعيش فيه إلى أبد الآباد، أما المحبة فلا تنتهي أو تبطل، بل بالعكس سوف تشتعل أكثر في نفوسنا عندما نكون في السماء، إذ تكون عاملة باستمرار فينا لتقديم التعبد والسجود لله، بكل فرح وابتهاج.

4- قال الوحي "فإنكم تعلمون هذا: إن كل زان أو نجس أو طماع الذي هو عابد للأوثان، ليس له ميراث في ملكوت المسيح والله" (أفسس 5: 5 – 6)، كما قال "كل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تقطع وتلقى في النار" (لوقا 3: 9)، وقال "الديانة الطاهرة النقية عند الله الآب هي هذه: افتقاد اليتامى والأرامل في ضيقتهم وحفظ الإنسان نفسه بلا دنس من العالم" (يعقوب 1: 27). وقال إن المسيح سيجازي كل واحد (ليس حسب إيمانه) بل حسب عمله (متى 16: 27)

الرد: (أ) إن الزناة والنجسين والطماعين ليسوا مؤمنين حقيقيين، والشجرة التي لا تصنع ثمراً جيداً هي مثال للمؤمنين بالاسم، وافتقاد اليتامى والأرامل في ضيقتهم وحفظ الإنسان نفسه بلا دنس في العالم، هو من عمل الروح القدس في قلوب المؤمنين الحقيقيين، ولكنه لا يخلصهم من دينونة خطاياهم، لأن الخلاص منها هو بدم المسيح

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

وحده كما ذكرنا. ومن ثم لا مجال للاعتقاد بأن هذه الخلاص يكون بالإيمان والأعمال معاً.

(ب) أما مجازات المسيح لكل واحد حسب عمله، فيراد بها أمـــران (الأول) طرح الأشرار في جهنم لأنهم لم يتوبوا عن خطاياهم ويؤمنوا به إيماناً حقيقياً (الثاني) توزيع المكافآت أو الأكاليل على المؤمنين الحقيقيين بحسب الأعمال الصالحة التي قاموا بها في العالم، وهذا هو المراد بالمجازاة في الآية التي نحن بصددها (كما يتضح من مـــتى 16: 24 – 26)، وفي الآية القائلة "ليس الغارس شيئاً ولا الساقي بل الله الـــذي ينمي، ولكن كل واحد سيأخذ أجرته بحسب تعبه (1 كورنثوس 3: 8).

(حـــ) أما عن الإهمال الذي يبدو أحياناً من بعض المـــؤمنين الحقيقـــيين في الأعمال الصالحة، فإن الله يؤدبهم عنه في العالم الحاضر، لكي تخلص أرواحهم في يوم الرب. فقد قال الوحي "نؤدب من الرب لكي لا ندان مع العالم". (1 كورنثوس 11: 32)، كما قال "إن بقي عمل أحد قد بناه عليه (أي على أساس الإيمان الحقيقـــي بالمسيح)، فسيأخذ أجرة. إن احترق عمل أحد فسيخسر (الأجرة) وأما هو فسيخلص (بناء على كفارة المسيح) ولكن كما بنار" (1 كورنثوس 3: 14 – 15)، كمـــا كانت الحال مع لوط قديماً.

5- هناك فرق كبير بين فائدة دم المسيح واستحقاق دم المسيح، ففائدة دم المسيح لا حد لها وتكفي لخلاص كل الناس. لكننا لا نستحق شيئاً من فائدته، إلا إذا كنا نعمل أعمالاً صالحة. فقد قال الرسول "إن سلكنا في النور كما هو في النور فلنا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

شركة بعضنا مع بعض[1]، ودم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية" (1 يوحنا 1: 7).

الرد: (أ) ذكرنا فيما سلف أننا لو عملنا كل البر، لا نكون أكثر من عبيد بطالين، لأننا لا نكون قد عملنا أكثر مما يجب علينا من نحو الله (لوقا 17: 10)، ومن ثم فإننا لا نستحق شيئاً من جوده وفضله. فضلاً عن ذلك فإنه إذا كان استحقاق الإفادة من دم المسيح يتوقف على الأعمال الصالحة التي نقوم بها، تكون الحياة الأبدية جزاء لنا وليس هبة، والحال أن هذه الحياة هي هبة من الله كما ذكرنا في الفصل الأول.

(ب) أما من جهة هذه الآية فنقول: "النور هو الحق، فالله نور وفي النور، أي أنه الحق ويتصرف تبعاً للحق. والظلمة هي عدم الحق أو بالحري الكذب. ولذلك فالإنسان الذي لا يعترف أنه خاطئ يضل نفسه ويسلك في الظلمة، كما يجعل الله (بكل أسف) كاذباً، ومن ثم لا يمكن أن يتقابل معه أو يتمتع بخلاصه. لكن من يعترف أنه خاطئ يسلك في النور ويشهد بأن الله صادق، ومن ثم يستطيع أن يتمتع بغفرانه وخلاصه. وإذا كان ذلك كذلك، فإن الآية التي نحن بصددها تشبه كل الشبه قول الوحي بعد ذلك "إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم" (1 يوحنا 1: 9). ومما يؤيد هذه الحقيقة أن الرسول لم يكن يتحدث بهذه العبارة إلى مؤمنين حقيقيين بل إلى مؤمنين بالاسم، والدليل على ذلك قوله: "إن

[1] – هذه العبارة وردت في بعض النسخ القديمة "قلنا شركة معه"، أي مع الله.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

قلنا إن لنا شركة معه وسلكنا في الظلمة نكذب ... وإن قلنا إنه ليس لنا خطية نضل أنفسنا ... وإن قلنا إننا لم نخطئ نجعله كاذباً".

(جـــ) وهذا التفسير لا يتعارض طبعاً مع وجوب سلوك المـــؤمنين [الـــذين تطهروا بالدم الكريم عند إيمانهم الحقيقي بالمسيح (أعمال 15: 9)] في النور كل حين بحياة التقوى والقداسة، لكي تكون لهم علاقة مستمرة مع الله، بها تنمو قامتهم الروحية وتزداد معرفتهم بشخصه – وفي هذه الحالة، يعظم اختبارهم لفاعلية دم المسيح، ويكثر فرحهم بها، إذ يرون أنهم مع حقارة شأنهم كبشر مجبولين من طين الأرض، كانوا كل حياتهم الماضية في حالة الشر والفساد، قد أصبحت لهم الآن بفضل هذا الدم علاقـــة حبية كريمة مع الله إلى أبد الأباد.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

3
الحجج القائلة بتوقف الخلاص على العمل بالناموس

اتضح لنا ما سلف أنه ليست هنا آية واحدة في الكتاب المقدس تدل على أن الخلاص الأبدي يكون بواسطة الإيمان والأعمال معاً، ولكن هناك آيات يقول بعض المسيحيين إنها تدل على أن هذا الخلاص يتوقف على حفظ وصايا الناموس الذي أعطاه الله لموسى النبي، أو بالحري على الإيمان والأعمال التي أمر الله بها في هذا الناموس، ولذلك رأينا من الواجب أن نفحص هذه الآيات أيضاً لنعرف المعنى الحقيقي لها:

1- يقول أصحاب هذا الرأي إن الأعمال التي لا تصلح للتبرير الوارد ذكرها في قول الرسول: "إذاً نحسب أن الإنسان يتبرر بدون أعمال الناموس" (رومية 3: 27 – 28)، هي أعمال الناموس الطقسي الخاصة بالفرائض الدينية التي كان يمارسها اليهود قديماً، لأن هذه كانت رموزاً مؤقتة للمسيح وعمله الفدائي الكريم. وبمجيء المسيح وإتمامه للفداء، أصبحت هذه الفرائض بلا قيمة أمام الله. أما الناموس الأدبي الخاص بالامتناع عن الخطية والقيام بعمل الصلاح، فليس هناك ما يعطله أو يلغيه، ولذلك فإنه باق مع الإيمان إلى نهاية الدهر، الطريق الإلهي للحصول على الحياة الأبدية. ومن ثم فكل من لا يحفظ وصية من وصايا هذا الناموس، لا بد أن يقع تحت قضائه المريع، فقد قال الوحي "ملعون كل من لا يثبت في جميع ما هو مكتوب في كتاب الناموس ليعمل به" (غلاطية 3: 10).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

الرد: نرى من الواجب ونحن في مستهل الرد على هذه الحجة أن نعلن بملء أفواهنا أننا لا نبيح لأنفسنا أو لغيرنا فعل الشر أو التهاون في فعل الخير، لكن ما ننبه إليه هو أن الأعمال الصالحة مهما كثرت لا تستطيع أن تكفر عن خطية واحدة من خطايانا للأسباب التي ذكرناها فيما سلف. أما من جهة الآيات المشار إليها فنقول:

(أ) إن الأعمال التي ذكر الرسول أنها لا تصلح للخلاص هي أعمال الناموس عامة، والناموس عامة يشمل الناموس الطقسي كما يشمل الناموس الأدبي. وقد أعلن بولس الرسول تحررنا من حكم الناموس الأول فقال عن المسيح، إنه "أبطل بجسده ناموس الوصايا في فرائض" (أفسس 2: 15)، وإنه "محا الصك الذي كان علينا في الفرائض الذي كان ضداً لنا" (كولوسي 2: 14)، ولذلك قال للمؤمنين "فلا يحكم عليكم أحد في أكل أو شرب، أو من جهة عيد أو هلال أو سبت، التي هي ظل الأمور العتيدة"[1] (كولوسي 2: 16 – 17). وقال لهم أيضاً "فلماذا كأنكم عائشون في العالم تفرض عليكم فرائض: لا تمس ولا تذق ولا تجس التي هي جميعها للفناء في الاستعمال" (كولوسي 2: 20 – 23).

[1] – فالنهي عن أكل لحوم الحيوانات التي كانت تعتبر نجسة (لاويين 11: 1 – 17)، كان رمزاً لوجوب الابتعاد الظاهري والباطني عن كل دنس ونجاسة. والأعياد اليهودية في مجموعها (لاويين 23: 4 – 43) كانت رمزاً للأفراح الروحية التي يتمتع بها المؤمنون الحقيقيون على أساس كفارة المسيح (1 كورنثوس 5: 6 – 7). والهلال أو أول الشهر (خروج 12: 2) كان رمزاً لبدء حياة روحية جديدة مع الله (2 كورنثوس 5: 7). والسبت أو الراحة (لاويين 23: 3) كان رمزاً للراحة الألفية والأبدية التي لا يعكر صفوها شيء (عبرانيين 4: 11)

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

كما أعلن الرسول تحررنا من حكم الناموس الأدبي (من جهة كونه تشريعاً يقتصر على الأمر والنهي والتهديد والوعيد)، فقال "إذاً يا إخوتي أنتم أيضاً قد متم للناموس بجسد المسيح، (أي أن علاقتكم بالناموس قد انتهت لأن المسيح بموته على الصليب حقق كل مطالب الناموس، إذ قبل في جسده قضاءه في نفسه بسبب الخطية نيابة عنكم)، لكي تصيروا الآخر الذي أقيم من الأموات لنثمر لله، لأنه لما كنا في الجسد (أو بالحري تحت سيادة الطبيعة العتيقة قبل إيماننا بالمسيح إيماناً حقيقياً)، كانت أهواء الخطايا التي في الناموس (أو بالحري التي ينهي عن الناموس) تعمل في أعضائنا لكي نثمر للموت. أما الآن فقد تحررنا من الناموس، إذ مات الذي كنا ممسكين فيه [أو بالحري الجسد أو الطبيعة العتيقة، لأن هذه قد اعتبرها الله أنها ماتت شرعاً بواسطة صليب المسيح، ونعتبرها نحن أيضاً كذلك كل حين حسب وصيته لنا (كولوسي 2: 20)] حتى نعبد بجدة الروح (أو بالحري بالروح القدس الذي يسود علينا في العهد الجديد)، لا بعتق الحرف (أي ليس بناءً على الناموس الحرفي العتيق الذي كان في العهد القديم)" (رومية 7: 4 – 6).

وقد طبق الرسول هذه الحقيقة على نفسه، ولذلك قال "مت بالناموس للناموس، لأحيا لله" (غلاطية 2: 19)، و "موت الرسول بالناموس" معناه أن الناموس قضى عليه فيما سلف بالموت، لأنه (أي الرسول) لم يستطع أن يحفظ وصاياه مثل غيره من الناس. و "موته للناموس" معناه انقطاع علاقته بالناموس كقانون يحكم عليه بالموت فيما بعد، عند التقصير في القيام بأية وصية من وصاياه، لأن الناموس يسود

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

على الأحياء فحسب (رومية 7: 1)، إذ ليست له سلطة البتة على الموتى [أو بالحري على المؤمنين الحقيقيين الذي اعتبروا في نظر الله أنهم ماتوا مع المسيح (كولوسي 2: 12- 20)]، إذ بموت المسيح نيابة عنهم حمل في نفسه عقوبة الخطية التي كان الناموس يهددهم بها إلى الأبد. فمكتوب عن المسيح أنه "افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا" (غلاطية 3: 13)، ومن ثم سلب من الناموس سلطته بالنسبة للمؤمنين الحقيقيين، لأنه لا يمكن أن تبقى له سلطة عليهم بعد زوال عقوبة الخطية التي كان يهددهم بها[1].

وإذا كان ذلك كذلك، فإن الله لا يتعامل مع المؤمنين الحقيقيين بعد الفداء. على مبدأ الناموس الذي يدين من لا يعمل بوصية من وصاياه، بل على مبدأ النعمة التي تخلص كل من يؤمن إيماناً حقيقياً بالمسيح. ولذلك فإن الرسول بعدما قال "مت بالناموس للناموس"، قال "لأحيا لله" – وطبعاً ليس بقوته الذاتية، بل بالحياة الجديدة التي وهبها الله على أساس الإيمان الحقيقي بالمسيح، بعيداً كل البعد عن أحكام الناموس.

(ب) فضلاً عن ذلك، لو كان من الممكن أن يتبرر الإنسان أمام الله بواسطة حفظ الناموس الأدبي، لكان المسيح قد مات عبثاً (غلاطية 2: 21)، إذاً فموت

[1] – لإيضاح هذه الحقيقة نقول: لنفرض أن شخصاً مات بعد أن ارتكب جريمة يستحق عليها الإعدام، فهل يأمر القاضي بإخراج جسده من القبر لكي ينفذ فيه هذا الحكم؟ طبعاً لا، لأن الموت الذي حل به لا يدع مجالاً لمحاكمته بعد – وهكذا الحال من جهتنا، فإنه بموت المسيح نيابة عنا، يحسب المؤمنون الحقيقيون به أنهم ماتوا (رومية 6: 8)، ولذلك لا يمكن أن تقع عليهم دينونة بسبب خطاياهم فيما بعد.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

المسيح الكفاري أغلق الباب نهائياً أمام إمكانية التبرر بأعمال هذا الناموس، وبالتبعية أمام كل ظن بأننا الآن تحت سلطان هذا الناموس، ولذلك قال الرسول "إذ نعلم أن الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس. بل بإيمان يسوع المسيح (لذلك) آمنا نحن أيضاً بيسوع المسيح لنتبرر بإيمان يسوع (أو بالحري بإيماننا بيسوع) لا بأعمال الناموس. لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما. فإن كنا ونحن طالبون أن نتبرر في المسيح، نوجد نحن أنفسنا أيضاً خطاة (أي نضع أنفسنا تحت الناموس، الذي يجعلنا خطاة)، أفالمسيح خادم للخطية؟ حاشا! (لأن وضعنا لأنفسنا تحت الناموس يكون رفضاً للتبرر بالإيمان، وتصرف مثل هذا خطية، لأنه إهانة بالغة لكفارة المسيح،)، فإني إن كنت أبني أيضاً هذا الذي قد هدمته (وهو الناموس)، فإني أظهر نفسي متعدياً (على المسيح)" (غلاطية 2: 16 – 18) – فوضع المؤمن الحقيقي نفسه تحت الناموس ليس إذاً أمراً غير جائز فحسب، بل إنه أيضاً خطية وتنكر شنيع لنعمة الله في المسيح.

(جـ) وإننا بقولنا هذا، لا نحط من شأن الناموس الأدبي من جهة كونه وصايا الله، كلا لأنه من هذه الناحية هو صالح، إن كان أحد يستطيع أن يستعمله ناموسياً أو قانونياً (1 تيموثاوس 1: 8)، ولكن ثبت بشهادة الوحي أنه بأعمال الناموس لا يتبرر كل ذي جسد أمام الله (رومية 3: 27 – 28). لأنه لم يستطع أن يحفظ وصاياه إنسان ما (رومية 3: 23)، ولعل من أقوى الأدلة على ذلك أن الشخص الذي نادى بكل إخلاص أنه كان بلا لوم من جهة الناموس، عندما رأى

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

نفسه في نور قداسة الله، اعترف أنه أول الخطاة (1 تيموثاوس 1: 15). ولذلك يجب ألا يخامرنا أي ظن بأنه من الممكن أن نتبرر أمام الله بواسطة حفظ الناموس.

(د) مما تقدم يتضح لنا أن لعنة الناموس الواردة في الآية التي نحن بصددها لا تحل على المؤمنين الحقيقيين الذين يعتمدون على كفارة المسيح، بل على الأشـــخاص الذين يريدون أن يتبرروا بأعمال الناموس، لأن كل الذين من أعمال الناموس هن تحت لعنة (غلاطية 3: 10)، بسبب عدم استطاعتهم أن يحفظوا أحكامه، "لأن من حفظ كل الناموس وإنما عثر في واحدة فقد صار مجرماً في الكل. لأن الذي قال لا تزن قال أيضاً لا تقتل. فإن لم تزن ولكن قتلت، فقد صرت متعدياً للناموس" (يعقوب 2: 10 – 11).

2- إن الوحي قال لنا "ليس الذين يسمعون الناموس هم أبرار عند الله، بل الذين يعملون بالناموس هم يبررون" (رومية 2: 13)، ولذلك يكون التبرير بأعمال الناموس.

الرد: إذا رجعنا إلى الإصحاحات الثلاثة الأولى من الرسالة إلى رومية، نرى أن غرض الرسول منها هو البرهنة على أن اليهود، مع أن ا لله خصهم بالناموس، لم يكونوا أفضل حالاً من الوثنيين، لأنهم كانوا يسمعون الناموس ويفتخرون به دون أن يعملوا بما جاء فيه، ومن ثم لم يتبرروا أمام الله – ولذلك قال الرسول لكل منهم "هو ذا أنت تسمى يهودياً وتتكل على الناموس وتفتخر بالله. فأنت إذاً الذي تعلم غيرك ألست تعلم نفسك؟ الذي تكرز أن لا يسرق، أتسرق! .... الذي تفتخر بالناموس،

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

أبتعدي الناموس تهين الله! لأن اسم الله يجدف عليه بسببكم بين الأمم" (رومية 2: 17 – 29)، ثم قال بعد ذلك "لأننا قد شكونا أن اليهود واليونانيين أجمعين تحت الخطية .... لأنه لا فرق" (رومية 3: 1 – 22)، ومن ثم ليس هناك مجال للظن. بعد ما ذكرناه هنا وفي البند السابق معاً، أن التبرير أمام الله يكون بأعمال الناموس.

3- إن المؤمنين الحقيقيين وإن كانوا قد تحرروا بصليب المسيح من اللعنة والهلاك اللذين يقضي بهما الناموس على كل من لا يحفظ وصاياه، لكنهم موجودون في العالم الحاضر تحت سلطان هذا الناموس، من جهة كونه شريعة إلهية يجب أن يسلكوا بمقتضاها.

الرد: نرى أنفسنا مضطرين مرة أخرى للقول إننا نعلن بملء أفواهنا أننا لا نبيح لأنفسنا أو لغيرنا فعل الشر أو التهاون في فعل الخير، ولكن ما ننبه إليه هو أن الأعمال الصالحة مهما كثرت، لا تستطيع أن تكفر عن خطية واحدة من خطايانا للأسباب السابق ذكرها، ولذلك نكتفي بالقول:

(أ) لو أن المؤمنين الحقيقيين كانوا تحت سلطان الناموس كشريعة يجب أن يسلكوا بمقتضاها، لكانوا أيضاً تحت قضائه باللعنة والهلاك عند التقصير في القيام بأية وصية من وصاياه (لأنه لا معنى لوجودهم تحت سلطان الناموس دون قضائه). ومن ثم لا يمكن أن يخلص واحد منهم مهما بلغ أسمى درجات التقوى، إذ أنهم جميعاً مثل غيرهم من الناس، ليسوا معصومين من الخطية، وأجرة الخطية الواحدة مهما كانت تافهة في نظرنا، هي عذاب أبدي (متى 5: 22). وبما أن هذا الأمر يتعارض كل

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

التعارض مع نعمة الله التي تقضي بمحو خطايا المؤمنين الحقيقيين بأسرها إلى الأبد (عبرانيين 8: 12)، وبعدم تعرضهم للدينونة الأبدية بأي حال من الأحوال (يوحنا 5: 24)، لا يمكن أن يكون هؤلاء المؤمنون تحت سلطان الناموس بأي معنى من المعاني.

وعدم وجودهم تحت سلطان الناموس لا يعفيهم طبعاً من مسؤولية السلوك بالتقوى والقداسة في العالم الحاضر، لأنهم وإن كانوا قد تحرروا من ناموس موسى لكنهم أصبحوا تحت ناموس المسيح (1 كورنثوس 9: 21)، وناموس المسيح يطلب منهم أن يقوموا (بقوة الروح القدس الساكن فيهم) بأعمال أسمى مما يطلبها ناموس موسى كثيراً[1]، لكن مع هذا الفارق الهام الواحد وهو أن المسيح لا يعرضهم للعذاب الأبدي في حالة التقصير في شيء من مطالب ناموسه (لأنه سبق وحمل هذا العذاب عنهم عندما قدم نفسه كفارة على الصليب لأجلهم)، بل يؤدبهم فقط في العالم الحاضر بشتى الوسائل لكي يعودوا إلى حياة الطاعة لله والشركة العملية معه (عبرانيين 12: 9 – 11)، ولكي لا يدانوا أيضاً مع العالم في اليوم الأخير (1 كورنثوس 11: 21).

(ب) أما من يقول إنه ليس تحت الناموس بل تحت النعمة، ولذلك له الحرية أن يتصرف كما يشاء وأن يفعل الخطية كما يشاء، فهو لا يفهم معنى النعمة، ومن ثم لا يكون مؤمناً حقيقياً على الإطلاق. وعن أمثال هذا الإنسان قال يهوذا في رسالته

[1] – فالمسيح يطلب مثلاً منهم أن يحبوا أعداءهم، وأن يباركوا لاعنيهم، وأن يحسنوا إلى مبغضيهم (متى 5: 45)، وأن يكونوا قديسين في كل سيرة (1 بطرس 1: 16)، وأن يمتنعوا عن كل شبة شر (1 تسالونيكي 5: 22)، وأن يتمثلوا بالله كأولاد أحباء (أفسس 5: 1)، وأن يعملوا الخير مع الجميع (غلاطية 6: 10)، وأن يصلوا في كل حين (أفسس 6: 18).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

"لأنه دخل خلسة أناس قد كتبوا منذ القديم لهذه الدينونة، فجار يحولون نعمة إلهنا إلى الدعارة" (يهوذا: 4)، لأن النعمة تعلم المؤمنين أن ينكروا الفجور والشهوات العالمية وأن يعيشوا بالتعقل والبر والتقوى في العالم الحاضر (تيطس 2: 12)، ليس لأنهم تحت الناموس، بل لأن ناموس روح الحياة في المسيح أعتقهم من ناموس الخطية والموت (رومية 8: 12). فهم (مثلاً) لا يسرقون ليس لأن الناموس قال "لا تسرق"، بل لأن الروح القدس الساكن فيهم يصرفهم عن السرقة، بل ويصرفهم أيضاً عن اشتهاء ما للغير، وفي الوقت نفسه يقودهم إلى العطف على المحتاجين ومد يد العون إليهم.

(جـ) فنحن المؤمنين قد متنا بالإيمان مع المسيح، ليس فقط للناموس بل وللخطية أيضاً، ومن ثم فإنساننا العتيق قد صلب بالإيمان مع المسيح لنعتق من طبيعتنا الفاسدة حتى لا نخدم الميل إلى الخطية الكامن فيها فيما بعد، وفي الوقت نفسه نكون أحياء لله وحده بيسوع ربنا. وبفضل هذا الإيمان لا يمكن أن تسود الخطية علينا، ولا يمكن أيضاً أن نطيعها في شيء من الشهوات، إذ أننا عندما نحسب أنفسنا أمواتاً عن الخطية في شخص المسيح، يتحقق لنا الوعد "الخطية لن تسودكم لأنكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة"، لأننا نختبر عملياً قوة ناموس روح الحياة، الذي يعتقنا من ناموس الخطية والموت (رومية 8: 4)، نعم قد تهاجمنا الخطية من الخارج في بعض الأحيان، ولكنها لا تستطيع أن تنفذ إلى داخلنا، إذ باعتبار أننا متنا مع المسيح، لا يبقى فينا ميل إلى الخطية، ولا يمكن للخطية أن تقهرنا أو تعطل اتصالنا الروحي بالله.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

4- إن الرسول قال بالوحي "أفنبطل الناموس بالإيمان؟ حاشا بل نثبت الناموس" رومية 3: 31)، وهذا دليل على أن الناموس يسود على جميع المؤمنين.

الرد: لكي نفهم المراد بهذه الآية، يجب أن نتأملها مع الآيات السابقة لها، فقد قال الرسول من قبل "إذاً نحسب أن الإنسان يتبرر بالإيمان بدون أعمال الناموس .... لأن الله واحد، هو الذي سيبرر الختان بالإيمان والغرلة بالإيمان" (رومية 3: 28 – 30). وبعد ذلك مباشرة قال الآية المذكورة أعلاه "أفنبطل الناموس بالإيمان؟ حاشا. بل نثبت الناموس" (رومية 2: 21 – 23)، ومن هذه الآيات جميعاً يتضح لنا ما يأتي:

(أ) إن التبرير لا يكون بواسطة القيام بالأعمال التي يطلبها الناموس [لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر أحد (رومية 3: 27 – 28)]، بل بواسطة الإيمان الحقيقي بالمسيح، لأن المسيح هو الذي وفى مطالب العدل الإلهي نيابة عنا كما ذكرنا فيما سلف. ونظراً لأن الله يعامل البشر معاملة واحدة، لا فرق في ذلك بين جنس وآخر، لذلك فهو يبرر الختان[1] (أي المؤمنين من اليهود) بالإيمان بالمسيح، ويبرر الغرلة (أي المؤمنين من الشعوب الأخرى) بالإيمان به أيضاً.

[1] – إن الله كان قد أعطى إبراهيم الختان كعلامة عهد ببينه وبين نسله (تكوين 17: 10 – 13)، وكان هذا الختان رمزاً لختان القلب أو بالحري قطع العلاقة بينه وبين الخطايا (رومية 2: 29)، وذلك بواسطة الإيمان الحقيقي بالمسيح (كولوسي 2: 11).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

(جـــ) لكن الله بتبريره لأولئك وهؤلاء بالإيمان بالمسيح، لم يغض النظر عن مطالب الناموس الذي وضعه، بل حققها جميعاً، إذ تحمل المســـيح في نفســـه علـــى الصليب لعنة الخطية الواردة في الناموس عوضاً عنهم جميعاً (غلاطية 3: 13). ومن ثم فقول الرسول "نثبت بالناموس"، يراد به أن نحفظ له حقوقه، لأن الله لم يتجاهلها بل وفاها بأسرها بصليب المسيح (رومية 3: 26)، كما يراد به أن نعلن عدالة الناموس في توقيع القصاص على غير المؤمنين والمؤمنين بالاسم. فإذا أضفنا إلى مـــا تقـــدم أن الرسول قال لنا لسنا تحت الناموس بل تحت النعمة (رومية 6: 14)، لا يبقى بعد أي مجال للظن بأن القول نثبت الناموس" يراد به أن نجعل الناموس قانوناً لسلوكنا أو قاضياً علينا، كما ذكرنا.

5- إن المسيح قال لنا "لا تظنوا إني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. مـــا جئت لأنقض بل جئت لأكمل، فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض، لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس، حتى يكـــون الكـــل" (5: 17 – 18).

الرد: إن الناموس (كما ذكرنا فيما سلف)، صالح إن كان أحد يســـتعمله ناموسياً أو قانونياً، ولذلك فإن المسيح لم ينقض شيئاً من أحكامه بل أكملها كلها في ذاته، وبذلك حفظ له مقامه كشريعة الله. فضلاً عن ذلك فإنه بواسطة عمل الروح القدس في المؤمنين الحقيقيين يجعلهم يعملون أيضاً كل ما يطلبه الناموس من بر، بـــل

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

وأكثر مما يطلبه منهم من بر كما ذكرنا، وذلك دون أن يضعهم تحت دينونة هـــذا الناموس أو لعنته.

6- لما سأل أحد الأنبياء المسيح قائلاً: أي صلاح أعمل لتكون لي الحيـــاة الأبدية؟ أجابه المسيح بالقول: "إن أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا ...." ثم قال له "اذهب بع كل مالك ووزع على الفقراء، فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني" (متى 19: 16 – 18). ولما سأله ناموسي قائلاً "ماذا أعمل لأرث الحياة الأبديـــة؟ أجابه بالقول "ما هو مكتوب في الناموس ... افعل هذا فتحيا" (لوقـــا 10: 25 – 28).

الرد: (أ) إن الصدقة في ذاتها لا تهب صاحبها الحياة الأبدية، لأنه مهما كانت قيمتها لا يمكن أن تكفر عن خطية واحدة من خطاياه أو تمنحه طبيعة روحية تجعلـــه أهلاً للتوافق مع الله في صفاته السامية كما ذكرنا فيما سلف. ولذلك فإننا إذا أمعنا النظر في إجابة المسيح السابق ذكرها، نرى أنه لا يفهم منها أنه إذا وزع الغني مالـــه على الفقراء يدخل السماء، بل يكون له كنز في السماء (أو بالحري يكون له كنـــز فيها، لو كان هو من أهلها)، ولكن تبين بالامتحان أن هذا الشخص لم يكن من أهل السماء، لأنه لم يكن معتمداً على نعمة الله، بل على أعمال الناموس. فضلاً عن ذلك لم يكن حافظاً للناموس كما كان يدعي، لأن الناموس يوصي بأن يحب المرء قريبه [أو بالحري قريبه في الإنسانية (لوقا 10: 25 – 37)] مثل نفسه، وهو (أي هذا الغني) لم يفعل ذلك بل و لم يشأ أيضاً أن يفعل – أما لو كان مخلصاً في طلبه وصـــادقاً في

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

شهادته عن نفسه، لكان قد أطاع المسيح وفعل كما فعل لاوي وغيره من التلاميذ الذين تركوا كل شيء وتبعوا المسيح (متى 9: 9، 19: 27)، ولكان المسيح قد أرشده إلى الطريق الصحيح للحياة الأبدية، وهو الإيمان الحقيقي كما أرشدهم.

(ب) وإذا كان ذلك كذلك، فما المفهوم من كلمة الحياة أو الحياة الأبدية الوارد ذكرهما في هذه الآيات عند اليهود؟ (الجواب) إن المراد بهما لديهم هو ملكوت السموات الذي كان المسيح عتيداً أن يقيمه على الأرض (لو كانوا قد تابوا عن خطاياهم وقبلوا رسالته التي أتى بها)، لأننا إذا رجعنا إلى الإصحاحين المقتبسة منهما الآيات المذكورة، نرى أن المسيح كان يتحدث عن هذا الملكوت (متى 19: 12 – 14، ولوقا 10: 9 – 11). فضلاً عن ذلك فإنه عندما أبى الغني أن ينفذ وصية المسيح له، قال المسيح لتلاميذه "الحق أقول لكم إنه يعسر أن يدخل غني إلى ملكوت السموات" (متى 19: 23). وملكوت السموات ليس هو السماء، أو المجد الأبدي في السماء (الذي لا يتمتع به إلا المؤمنون الحقيقيون المغفورة خطاياهم والحاصلون على طبيعة روحية تؤهلهم للتوافق مع الله)، بل هو دائرة الإيمان بالمسيح كالملك على الأرض، كما ذكرنا فيما سلف.

(جـ) ومما يثبت أن الحياة الواردة في قول المسيح "إن أردت أن تدخل الحياة، احفظ الوصايا". وقوله "افعل هذا فتحيا" لا يراد بها الحياة الأبدية مع الله في السماء بل ملكوت السموات السابق ذكره، الدليلان الآتيان. (1) إن المسيح لم يقل للشخص الأول "إن أردت أن تدخل الحياة الأبدية (على فرض أن المؤمن يدخل هذه

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

الحياة، وليست هي التي تدخل فيه[1]، و لم يقل للثاني: افعل هذا فتحيا إلى الأبد. بل قال للأول "إن أردت أن تدخل الحياة". وقال للثاني "افعل هذا فتحيا"، بدون كلمة "الأبدية أو "إلى الأبد" (2) إن الحياة الأبدية في السماء كانت بعيدة كل البعد عن أذهان اليهود الذين كانوا في عصر المسيح، إذ أن ما كانوا يتوقون إليه هو الحياة السعيدة على الأرض، لأنها هي التي كانت تتناسب مع آمالهم وميولهم الشخصية.

أما السبيل الوحيد للحياة الأبدية مع الله في السماء، فهو ما نص عليه المسيح في قوله "هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية" (يوحنا 3: 16)، أي أن هذه الحياة ليست أجرة عن الصدقة أو غيرها من الأعمال الصالحة، بل هبة من الله على أساس كفارة المسيح لكل من يؤمن إيماناً حقيقياً.

7- إن كان الناموس الأدبي لا يخلص الذين لا يعملون به، فلماذا أعطاه الله لموسى النبي من قبل؟

الرد (أ) إن الناس في العهد القديم كانوا لا يزالون في الحالة البدائية من الناحية الروحية، ولذلك كانوا لا يستطيعون إدراك ماهية الخطية إدراكاً كاملاً. ومن ثم اقتضى الأمر أن يعطيهم الله قانوناً أو ناموساً لكي يعرفوا (أولاً) ماهية الخطية

[1] – لأن هذه الحياة (كما اتضح لنا مما سلف) يكونها الروح القدس في نفس المرء عندما يولد من الله ولادة روحية بواسطة الإيمان الحقيقي، والحياة المذكورة هي التي قال المسيح عنها "أما أنا فقد أتيت لتكون لهم حياة، وليكون لهم أفضل (أو بالحري حياة متزايدة)" (يوحنا 10: 20).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

وشناعتها. فقد قال الرسول "لأن بالناموس معرفة الخطية" (رومية 3: 20)، إذ لولاه لما كانت الخطية تحسب أنها خطية (رومية 5: 13)، كما قال "بل الخطية، لكي تظهر خطية منشئة لي بالصالح (أو بالحري بالناموس) موتاً، لكي تصير الخطية خاطئة جداً بالوصية" (رومية 7: 13). (ثانياً) وأنهم يعملون الخطية حتى مع علمهم أنها خطية نهى الناموس عنها، لكي يدركوا أنهم ليسوا خطاة فحسب، بل وأنه لا عذر لهم أيضاً في خطاياهم (ثالثاً) إن التبرير أمام الله لا يكون تبعاً لذلك بأعمالهم بل بنعمة الله في المسيح، فقد قال الرسول عن الناموس إنه كان مؤدبنا إلى المسيح، لكي نتبرر بالإيمان بالمسيح لا بأعمال الناموس" (رومية 3: 20). وبما أن المسيح كفر عن خطايانا، وجعلنا الروح القدس أهلاً للتوافق مع الله في صفاته السامية، فإننا (كما شهد الرسول) لا نكون بعد تحت مؤدب (غلاطية 3: 25)، أو بالحري لا نكون تحت قضاء الناموس وسلطانه.

(ب) فضلاً عما تقدم فإن الناموس لم يوضع للمؤمنين الحقيقيين بالمسيح والمتبررين بدمه الكريم والذين من دأبهم أن يرضوا الله في السيرة والسريرة، بل وضع (كما يقول الوحي) للأثمة والمتمردين، للفجار والخطاة، للدنسين والمستبيحين، لقاتلي الآباء والأمهات ... (1 تيموثاوس 1: 9 – 10)، فهو (إن جاز التشبيه) مثل الأوامر والتعليمات التي يصدرها الرئيس للمهملين من موظفيه، أما المخلصون فليسوا في حاجة إلى هذه الأوامر والتعليمات، لأنهم يقومون من تلقاء أنفسهم بالأعمال المسندة إليهم، وبأعمال أكثر منها أيضاً. ولذلك فإن الذين يرفضون خلاص المسيح، هم

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

وحدهم الذين يقعون تحت قضاء الناموس وأحكامه، ومن ثم لا بد أن يستد فمهم أمام الله ويصيروا تحت قضائه، "لأنه بأعمال الناموس كل ذي جسد لا يتبرر أمامه (رومية 3: 19، 20).

(جـ) أخيراً نقول: إذا رجعنا إلى أوائل معاملة الله مع البشر، نرى أنه لم يجعل العمل بالناموس أساساً للتبرير أمامه، لأنه أعلن أن "البار بإيمانه يحيا" (حبقوق 2: 4)، ولذلك برر إبراهيم على أساس الإيمان، فقد قال الوحي "فآمن إبراهيم بالله فحسب له براً" (رومية 3: 3)، كما برر على هذا الأساس بعينه جدعون وباراق وشمشون ويفتاح داود وصموئيل وراحاب و ... و .... (عبرانيين 11: 32، على الرغم من سقوطهم في خطايا متعددة، الأمر الذي يدل على أن الله الذي عرف منذ الأزل ضعف البشر جميعاً، قصد أن يخلصهم على أساس نعمته المجانية، إذا آمنوا به إيماناً حقيقياً. فضلاً عن ذلك، فإن الناموس من دأبه أن يكشف عيوب الناس، ولكنه لا يصلح شيئاً من نفوسهم، فهو والحالة هذه ليس بأكثر من المرآة التي (تظهر للناس وجوههم، دون أن تكون لها القدرة على إصلاح ما يوجد فيهم من عيوب). ومن ثم لا يمكن أن يكون الله قد جعل الناموس وسيلة لتبريرنا أو تأهيلنا للوجود معه، بل فقط لكشف عيوبنا ونقائصنا المتعددة كما ذكرنا في بند (أ)، وذلك لنعتمد على المسيح وحده في أمر تبريرنا أمام الله.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

8- إن كان الإيمان الحقيقي، وليس حفظ الناموس، هو السبيل إلى الحياة الأبدية، فما الفائدة التي تعود على الذين يحفظون الناموس دون أن يؤمنوا بالمسيح إيماناً حقيقياً.

الرد: فضلاً عن أنه ليس هناك شخص واحد يستطيع أن يحفظ الناموس كما اتضح لنا مما سلف، الأمر الذي لا يدع مجالاً لهذا الاعتراض نقول: إن الله لعدالته المطلقة لا يهمل مثقال ذرة من الخير يقوم بها إنسان ما، بل لا بد أن يكافئه عنا خيراً. ولكن يجب ألا يفوتنا أن الجزاء يكون دائماً أبداً من جنس العمل. ولذلك فإن الإنسان الذي ليست له حياة أبدية (بسبب عدم إيمانه بالمسيح إيماناً حقيقياً) إن عمل خيراً في دنياه، يمنحه الله خيراً أيضاً في دنياه، فيخرجه مثلاً من المآزق والضيقات التي يتعرض لها، ويعطف عليه في أوقات المرض والشدة التي يجوز فيها، وييسر له سبل العيش، كما كان يفعل هذا الإنسان مع بني جنسه. أما إذا انتقل إلى الأبدية، فسوف يرى نفسه (بكل أسف) جنباً إلى جنب مع باقي الخطاة بعيداً عن الله، لأن الأعمال الصالحة التي كان يقوم بها لا تستطيع أن تكفر عن خطية من خطاياه، أو تسمو به إلى درجة التوافق مع الله في صفاته السامية، كما ذكرنا فيما سلف.

مما تقدم يتضح لنا أن هناك أوجه خلاف متعددة بين الناموس وبين النعمة، نلخصها فيما يأتي:

(أ) الناموس يطلب من الخطاة أن يحيوا حياة البر، ولذلك فمثله مثل من يطلب ديناً من مفلس أو خدمة من ميت، أما النعمة فتخلع عليهم بر الله الكامل دون

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

أن تطلب منهم شيئاً سوى الإيمان الحقيقي. ولذلك فمثلها مثل من يهب المفلس غنى والميت حياة. وهذا هو السبب في أن الناموس لا يبرر أحداً بل يقضي على الجميع باللعنة والهلاك، أما النعمة فتبرر كل الذين يؤمنون إيماناً حقيقياً.

(ب) فضلاً عن ذلك فإن النعمة بعد أن تبرر الخطاة على أساس الإيمان الحقيقي تهبهم طبيعة روحية، يستطيعون بها التوافق مع الله وتنفيذ وصاياه، ولذلك يعيشون في فرح وسلام ليس بعدهما فرح وسلام. أما الذين يضعون أنفسهم تحت الناموس فيعيشون في قلق ورعب كل حين، كما يضعفون أمام الخطية عندما يتعرضون لها، لعدم حصولهم على طبيعة روحية من الله تسمو بهم فوقها.

(جـ) إن الذين يضعون أنفسهم تحت سلطان الناموس مسؤولون عن القيام بكل ما يتطلبه الناموس حتى يكونوا مقبولين أمام الله. أما الذين يضعون أنفسهم تحت نعمة الله، فالمسيح هو المسؤول عن حفظهم في حالة القبول أمام الله إلى الأبد. ولذلك فالفريق الأول موجود أمام الله تحت الامتحان لكي يثبت أهليته للحياة وإلا فإنه يهلك إلى الأبد، أما الفريق الثاني (فنظراً لأنه اتخذ المسيح نائباً عنه، والمسيح جاز أدق الامتحانات وانتصر فيها انتصاراً كاملاً) قد حسبت لهذا الفريق نصرة المسيح بأكملها. وإن كان الله يمتحن هذا الفريق أحياناً، فليس لكي يهلك أو يخلص، بل لكي ينتصر وينال المكافأة كما حدث ويحدث مع المؤمنين الحقيقيين في العهدين القديم والجديد – والمكافأة ليست هي الحياة الأبدية، بل هي جزاء خاص بجانب هذه الحياة (1 كورنثوس 3: 11 – 16). أما إذا سقط واحد من الفريق المذكور في خطية خاصة،

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

بسبب عدم وجوده في حالة الطاعة الكاملة لله، فإن الله يؤدبه في الوقت الحاضر لكي يكف عن هذه الخطية، ولكي ينجو أيضاً من الدينونة (1 كورنثوس 11: 31) في اليوم الأخير.

(د) إن الحياة التي وعد الله بها للذين يحفظون الناموس (إن استطاع أحد أن يحفظه)، هي الحياة السعيدة على الأرض. أما الحياة الروحية مع الله إلى الأبد، فهي هبة مجانية من الله لكل من يؤمن إيماناً حقيقياً. وهذا الإيمان لم يوجد في العهد الجديد فقط بل كان موجوداً في العهد القديم كذلك. ومن ثم فإن الذين يتمتعون بهذه الحياة ليس مؤمنو العهد الجديد وحدهم، بل ومؤمنو العهد القديم أيضاً.

وإذا كان الأمر كذلك، فلا سبيل للجمع بين الناموس والنعمة على الإطلاق، وكل من يضع نفسه تحتهما معاً، يكون كالمرأة التي تجمع بين رجلين في وقت واحد (رومية 7: 1 – 4)، أو الإنسان الذي يريد أن يكون عبداً وحراً في نفس الوقت (غلاطية 4: 20 – 23)، ذلك لأن الخلاص إما أن يكون بالناموس أو بالمسيح ولا وسط بين الاثنين، وبما أنه لا يكون بالناموس، إذاً يكون بالمسيح دون سواه، كما أعلن الوحي مراراً وتكراراً.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

4
الحجج القائلة بجواز هلاك المؤمنين الحقيقيين

اتضح لنا مما سلف أن المؤمنين الحقيقيين لا يمكن أن يهلكوا على الإطلاق، ولكن هناك آيات يقول بعض المسيحيين أنها تدل على جواز هلاك هؤلاء المؤمنين، الأمر الذي يدل في نظرهم على أن الخلاص يكون بالإيمان والأعمال، لذلك رأينا من الواجب أن نفحص هذه الآيات أيضاً لكي يتضح لنا الغرض الحقيقي منها.

أولاً – الآيات الواردة في البشائر وأعمال الرسل

1- قال المسيح مرة للآب عن تلاميذه "الذين أعطيتني حفظتهم، و لم يهلك منهم أحد إلا ابن الهلاك ليتم الكتاب" (يوحنا 17: 22)

المعنى (أ) إن المراد "بابن الهلاك" هنا (كما نعلم جميعاً)، هو يهوذا الاسخريوطي، ويهوذا هذا كان ابناً للشيطان لأنه كان لصاً كما كان شخصاً خبيثاً ليست فيه ذرة من الوفاء أو الإخلاص (يوحنا 6: 70، 71)، فضلاً عن ذلك فقد رضى أن يتربع الشيطان في قلبه وأن يقيم عن يمينه (لوقا 22: 3، مزمور 109: 1 – 6)، ولذلك فإنه لم يكن واحداً من المكتوب عنهم أن الآب أعطاهم للمسيح (لأن الآب لا يعطي للمسيح إلا المؤمنين الحقيقيين)، وبالتبعية لم يكن يهوذا هذا واحداً من الذين قال المسيح عنهم إنه حفظهم.

(ب) وإذا كان ذلك كذلك، يكون معنى الآية التي نحن بصددها أن الذين أعطاهم الآب للمسيح لم يهلك منهم أحد، أما ابن الهلاك (أو بالحري ابن الشيطان الذي لم يعطه الآب للمسيح) فقد هلك، الأمر الذي لا مفر منه على الإطلاق. فهلاك

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

يهوذا إذاً ليس دليلاً على جواز هلاك المؤمن الحقيقي، بل على وجوب هلاك المؤمن المزيف، الذي يتبع المسيح ويتتلمذ له والحال أن قلبه بعيد عن المسيح بعداً عظيماً.

2- قال المسيح لتلاميذه في مثل الزارع إن هناك فريقاً من الناس يسمعون كلمة الله، وبعد ذلك يخطفها إبليس من قلوبهم. وإن فريقاً آخر يسمعون هذه الكلمة بفرح، ولكن عندما تصادفهم التجربة يرتدون. وإن فرقاً ثالثاً يسمعون كلمة الله، ولكن هموم الحياة وغناها ولذاتها تؤثر عليهم، فلا يأتون بثمر (لوقا 8: 9 – 14)، وهذا دليل على جواز ارتداد بعض المؤمنين بالمسيح وهلاكهم إلى الأبد تبعاً لذلك.

المعنى: يتضح من مثل الزارع أن الأشخاص المذكورين لا يمثلون المؤمنين الحقيقيين بل يمثلون المؤمنين بالاسم، لأنهم قبلوا كلمة الله قبولاً سطحياً فحسب. أما المؤمنون الحقيقيون فقد قال المسيح عنهم إنهم عندما يسمعون كلمة الله يحفظونها في قلب جيد صالح، ثم يثمرون بعد ذلك بصبر (لوقا 8: 15)، ولذلك ليس هناك مجال للظن بأن المؤمنين الحقيقيين معرضون للارتداد – هذا مع العلم بأن الارتداد لا يراد به السقوط في خطية خلقية، بل يراد به إنكار المسيح والتحول عنه (2 تسالونيكي 2: 3، عبرانيين 2: 12).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

3- قال المسيح كل غصن لا يأتي بثمر ينزعه[1]، وكل ما يأتي بثمر ينقيه ليأتي بثمر أكثر. إن كان أحد لا يثبت في يطرح خارجاً كالغصن، فيجف ويجمعونه ويطرحونه في النار فيحرق" (يوحنا 15: 2 – 6)

المعنى (أ) إن المسيح لا يشبه بالكرمة من جهة كونه المخلص والفادي، بل من جهة كونه مصدر الشهادة الصادقة لله في العالم الحاضر [وذلك بالمقابلة مع كرمة إسرائيل التي فشلت في هذه الشهادة قديماً،فأمر الله بقطعها (أشعيا 5: 1 – 6)، وإقامة غيرها عوضاً عنها] والدليل على ذلك أن المسيح لم يقل "الذي يثبت في لا يهلك (مع أن هذا حق لا شك فيه)، بل قال "الذي يثبت في وأنا فيه، هذا يأتي بثمر كثير" (يوحنا 15: 5).

[1] – يقول البعض (إن كلمة "ينزعه" هنا، هي بعينها الكلمة المترجمة "رفع" في الآية "رفع يسوع عينيه إلى فوق" (يوحنا 11: 41) و "يحمل" في الآية " ... مفلوجاً يحمله أربعة" (مرقس 2: 3)، ومن ثم لا يكون المراد بالآية التي نحن بصددها (حسب رأيهم) أن الشخص الذي لا يأتي بثمر يهلك كما ذكرنا أعلاه، بل يكون المراد بها أن الله يحمل أو يرفع هذا الشخص إلى فوق لكي يأتي بثمر). لكن فضلاً عن أن الكلمة الواحدة تستعمل بأكثر من معنى واحد وأن القرينة وحدها هي التي تحدد المعنى المناسب لها، نقول إنه وإن كان النزع أو الحمل هو النقل من مكان إلى مكان، لكن الغرض من هذا النقل ليس من اللازم أن يكون واحداً في كل حالة من الحالات. وبالرجوع إلى (يوحنا 15) نرى أن النزع الوارد في الآية التي نحن بصددها يراد به النقل إلى النار، لكن بالرجوع إلى (مرقس 2) نرى أن الحمل يراد به النقل إلى المسيح للحصول على الشفاء. وبالإضافة إلى ما تقدم فإن الكلمة المترجمة "رفع" ليست (كما يقول أصحاب هذا الرأي) هي ذات الكلمة المترجمة "ينزع"، لأن معناها حسب الأصل اليوناني "نقل من أسفل إلى أعلى"، وليس نقل من مكان إلى مكان، ولذلك فرأيهم لا نصيب له من الصواب.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

(ب) مما تقدم يتضح لنا أنه لا يراد بالأغصان المؤمنون الحقيقيون وحدهم، بل كل المنتمين إلى المسيح. وهؤلاء ينقسمون (كما نعلم) إلى فريقين: مؤمنين حقيقيين ومؤمنين بالاسم: فالمؤمنون الحقيقيون هم الذين تسري فيهم حياة المسيح، فيأتون بثمر لأجل مجد الله، ومن ثم يقوم الله بتنقيتهم من وقت إلى آخر لكي يأتوا بثمر كثير. أما المؤمنون بالاسم فلا نرى فيهم حياة المسيح، لأنهم غير ثابتين فيه أو مولودين منه، بل هم ينتسبون إليه انتساباً ظاهرياً فحسب، ومن ثم لا يأتون بثمر ولا يكون لهم نصيب إلا الهلاك الأبدي.

4- قال المسيح "متى خرج الروح النجس من الإنسان، يجتاز في أماكن ليس فيها ماء يطلب راحة ولا يجد، ثم يقول ارجع إلى بيتي الذي خرجت منه، فيجده مكتوباً مزيناً. ثم يذهب ويأخذ معه سبعة أرواح أخر أشر منه، فيدخل ويسكن هناك فتصير أواخر ذلك الإنسان أشر من أوائله، هكذا يكون أيضاً لهذا الجيل الشرير" (متى 12: 43 – 45).

المعنى: إن كنس البيت وتزيينه هنا، ليس رمزاً لتطهير القلب وتنقيته لله، إنما رمز التهيئة للشر والضلال. وللإيضاح نقول: إنه بالرجوع إلى الإصحاح المقتبسة منه هذه الآيات وإلى تاريخ اليهود (المعبر عنهم هنا بالجيل الشرير)، نرى أن الله كان قد طهرهم من عبادة الأوثان التي توغلوا فيها ردحاً طويلاً من الزمن (وذلك بواسطة ما قضي به عليهم من ضيقات ونفي إلى بلاد بعيدة) حتى خرج منهم الروح النجس، أو بالحري روح العبادة للأوثان الذي كان متغلغلاً في نفوسهم. ولما عدوا من المنفى إلى

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

بلادهم واستقروا فيها، أتى المسيح إليهم لكي يتمم لهم مواعيد الله الطيبة لآبائهم. لكن عوضاً عن أن يرحبوا به ويقبلوه، احتقروه ورفضوه فصاروا كبيت فارغ مزين مكنوس، مستعد لاستقبال الشيطان الذي خرج منهم من قبل. ولذلك ستكون أواخرهم أشر من أوائلهم إذ سيؤمنون بالمسيح الكذاب الذي يدعي بأنه إله، ويقدمون له العبادة والسجود (2 تسالونيكي 2: 4)، وبهذا العلم يهيئون أنفسهم لقبول أشر الويلات والضربات كما يتضح من (سفر الرؤيا ص 20: 16 – 21).

5- قال المسيح لبطرس الرسول "هوذا الشيطان طلبكم لكي يغربلكم كالحنطة، ولكني طلبت من أجلك لكيلا يفنى إيمانك ... وأنت متى رجعت ثبت إخوتك" (لوقا 22: 31 – 32).

المعنى (أ) لا شك أنه لو كان المسيح قد ترك المؤمنين وشأنهم، لكانوا (أو لكان كثيرون منهم) قد انحرفوا عنه وفني إيمانهم، وذلك بسبب التجارب المتعددة التي يتعرضون لها من الجسد والعالم والشيطان. ولكن المسيح لم يتركهم ولن يتركهم على الإطلاق، إذ أنه قائم في كل حين ليشفع فيهم، فقد قال الرسول: "يا أولادي اكتب إليكم هذا لكي لا تخطئوا. وإن أخطأ أحد لنا شفيع[1] عند الآب يسوع المسيح البار[1]

[1] – إن القول "إن أخطأ أحد لنا شفيع"، لا يدل على أننا إذا تبنا يشفع فينا بل على أنه يشفع فينا ونحن في حالة السقوط في الخطية، كما لا يدل على أننا إذا أخطأنا ينهض المسيح للشفاعة لأجلنا، بل يدل على أنه يقوم بهذه الشفاعة باستمرار لأجلنا، لكي يضمن لنا البقاء في مركز القبول الكامل أمام الله في كل الظروف والأوقات، ولكي يرد نفوسنا أيضاً إليه إذا انحرفنا عنه (مزمور 23: 3)، وذلك بواسطة التأثير عليها بكلمته.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

وهو كفارة لخطايانا. ليس لخطايانا فقط، بل لخطايا كل العالم أيضاً" (1 يوحنا 1 – 2). ومن ثم فالمؤمنون لا يعتمدون في أمر خلاصهم الأبدي على أنفسهم بعد إيمانهم بالمسيح، بل يعتمدون على المسيح نفسه الذي مات مرة لأجل التكفير عن خطاياهم، ويحيا الآن ليشفع فيهم ويعضدهم، ولذلك فإن إيمانهم لا يفنى على الإطلاق.

(ب) وإن نظرة إلى الآيات التي نحن بصددها ترينا بكل جلاء عدم تعرض المؤمنين الحقيقيين للهلاك، فبطرس الرسول قبل أن يتعرض للتجربة، طلب المسيح لأجله حتى لا يفنى إيمانه، لا بل وأنبأه أيضاً بأنه سينهض من هذه التجربة ويثبت أخوته بعد نهوضه منها (لوقا 22: 32)، وفعلاً لم يفن إيمان بطرس، وبعد أن نهض من زلته كان عوناً لتثبيت أخوته، كما قال له المسيح من قبل – ولذلك لا سبيل أمام المتشككين للظن بأن المؤمن الحقيقي يمكن أن يفنى إيمانه

6- إن حنانيا وسفيرة الذين كذبا على بطرس قد ماتا وهلكا (أعمال 5: 1 – 11)، مع أنهما كانا مؤمنين حقيقيين.

---

[1] – مما تجدر الإشارة إليه، أنه إذا بنى الشفيع (أو المحامي) طلبه في العفو عن مسيء على مجرد الاسترحام دون أي مبرر قانوني، يكون هناك شك في قبول طلبه هذا. لكن إذا بناه على أساس من العدالة، لا يكون هناك شك في قبوله. وإذا كان ذلك كذلك أدركنا أن شفاعة المسيح لأجل المؤمنين مقبولة كل القبول أمام الله، لأنه يقف فيها موقف البار (أو بالحري العادل) الذي يؤسس حقه في استجابة طلبه (ببقاء المؤمنين الحقيقيين الذين يعثرون في مركز القبول الذي كان لهم من قبل أمام الله) على أساس قانوني ثابت، وهو كفاية كفارته إلى أبد الآباء.
ومما تجدر الإشارة إليه أيضاً أن الوحي لا يقول: لنا شفيع عند الله، بل يقول "لنا شفيع عند الآب"، أي الآب الذي يفيض قلبه بالحب والعطف علينا، الأمر الذي يدل أيضاً على أن شفاعة المسيح لأجلنا مقبولة كل القبول، ولا نحتاج معها إلى شفاعة أي إنسان مهما كان مقامه.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

الرد (أ) إن الوحي لا يقول إنهما هلكا للسببين الآتين (الأول) إن الخطية التي سقطا فيها لم تكن خطية التجديف على الروح القدس أو الارتداد عن المسيح وإنكار كفارته اللتين لا مجال لغفرانهما، بل كانت خطية الكذب فحسب. وهذه الخطية مثل غيرها من الخطايا التي يتعرض لها المؤمن الحقيقي يمكن غفرانها بفضل كفارة المسيح (1 يوحنا 1: 9).. (الثاني) إن الحكم الإلهي بالموت الجسدي على مؤمن ما، لا يدل على أنه ارتد وهلك، فالمؤمن الذي ارتكب خطية الزنا، سلمه الرسول للشيطان لهلاك الجسد حتى تخلص روحه في يوم الرب يسوع (1 كورنثوس 5: 1 – 5)، والمؤمنون الذي تناولوا مائدة الرب بدون استحقاق سمح الله بتفشي المرض والموت فيهم، تأديباً لهم على تهاونهم، حتى لا يدانوا فيما بعد مع العالم (1 كورنثوس 11: 29 – 32).

(ب) وإننا بقولنا هذا لا نبيح لأنفسنا أو لغيرنا الكذب أو الزنا أو الاستهانة بمائدة الرب، بل بالعكس ننادي بوجوب التدقيق في التصرف والامتناع عن كل شبه شر، وكل ما في الأمر نعلن بناء على كلمة الله، أن الله عندما يرى أحد المؤمنين الحقيقيين قد أخطأ خطية مهينة لمجده، يقضي عليه بأشر أنواع الموت؛ أما روحه، فنظراً لأن المسيح بكفارته التي قدمها على الصليب قد حمل العذاب الأبدي الذي تستحقه، لا يمكن أن تهلك على الإطلاق، بل إذ تنتفي بتأديب الله لها، يمكنها أن تستأنف علاقتها مع الله في الأبدية.

ثانياً ــ الآيات الواردة في الرسائل وسفر الرؤيا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

1- قال بطرس الرسول "لأنه إذا كانوا بعد ما هربوا من نجاسات العالم بمعرفة الرب والمخلص يسوع المسيح، يرتبكون أيضاً فيها فينغلبون، فقد صارت لهم الأواخر أشر من الأوائل" (2 بطرس 2: 20).

المعنى (أ) بالرجوع إلى الإصحاح المقتبسة منه هذه الآية، يتضح لنا أن الأشخاص المذكورين هم المعلمون الكذبة الذين كانوا يدسون البدع بين المؤمنين، كما كانوا يجدفون على الرب، ولذلك فإن دينونتهم (كما قال الوحي) من قديم لا تتوانى وهلاكهم لا ينعكس (عدد 1 – 3). وإذا كان الأمر كذلك، لا يعقل إطلاقاً أنهم كانوا يوماً ما من المؤمنين الحقيقيين، لأن هؤلاء المؤمنين لا يأتون بالبدع، ولا يخطر ببالهم إطلاقاً أن يجدفوا على الرب، كما أن الله اختارهم من البدء ليس للدينونة، بل للخلاص بواسطة المسيح (2 تسالونيكي 2: 3).

أما عن الاعتراض [بأن هؤلاء الأشخاص مكتوب عنهم أن الرب اشتراهم، وأنهم هربوا من نجاسات العالم (عدد 2)، وأنهم تبعاً لذلك يكونون من المؤمنين الحقيقيين] فنقول (أولاً) إن المسيح بذل نفسه ليس من أجل المؤمنين الحقيقيين وحدهم بل من أجل العالم بأسره، فقد قال الوحي عن المسيح إنه "حمل الله الذي يرفع خطية العالم" (يوحنا 1: 29)، ومن ثم يكون قد اشترى كل الساكنين فيه وليس المؤمنين

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

الحقيقيين فحسب – ومثل "الحقل والكنز" الذي يعلن لنا أن المسيح اشتراهما معاً، خير دليل على هذه الحقيقة (متى 13: 14)[1].

(ب) إن هرب الأشخاص المذكورين من نجاسة العالم لم يكن هرباً قلبياً، مثل هرب المؤمنين الحقيقيين بل كان هرباً ظاهرياً فقط، والدليل على ذلك أنه لم يستمر طويلاً – فضلاً عن ذلك فإن الكتاب المقدس يسجل عنهم إنهم (أثمة) و "أولاد اللعنة" و "آبار بلا ماء" و "عبيد الفساد" وأنهم يشبهون "الكلاب" و "الخنازير" (2 بطرس

[1] – يقول بعض المفسرين (إن الكنز يرمز إلى المسيح، وإن الشخص الذي اشترى الحقل الموجود فيه الكنز، يرمز إلى المؤمن الحقيقي)، لكن قولهم هذا لا يتفق مع الوحي أو العقل، لأنه لو كان الكنز يرمز إلى المسيح، لكان الحقل يرمز إلى السماء، وهذا ليس بصواب للأسباب الآتية (أ) ليس هناك إنسان في الوجود يستطيع أن يشترى المسيح والسماء معاً، ويصبح المالك لهما بحق الشراء. (ب) ليس هناك إنسان في الوجود يستطيع أن يضحي بكل شيء من أجل المسيح، حتى ينطبق عليه القول "إنه باع كل شيء من أجله" (جـ) ولو فرضنا أن هناك إنساناً استطاع القيام بهذه التضحية، وتبعاً لذلك استطاع أن يمتلك المسيح والسماء معاً بحق الشراء، لما كان هناك مجال أمام غيره للتمتع بهما على الإطلاق. وهذا ما لا يتفق مع الوحي أو العقل أيضاً، لأنه لا المسيح ولا السماء يمكن الحصول عليهما بحق الشراء، إذ أن التمتع بهما هو من مجرد نعمة الله المجانية لكل من يؤمن إيماناً حقيقياً، كما أعلن الوحي.

أما الحقيقة التي أعلنها الوحي، فهي أن "الحقل رمز للعالم"، فقد قال بعبارة صريحة "الحقل هو العالم" (متى 12: 37)، وأن الشخص الذي ينطبق عليه القول إنه "باع كل ما عنده ليشتري الحقل من أجل الكنز الذي كان موجوداً فيه"، هو المسيح وحده، فقد قال الوحي عنه إنه "أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس، وإذ وجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت، موت الصليب" (فيلبي 2: 8) – وإذا كان الأمر كذلك، يكون الكنز رمزاً للمؤمنين الحقيقيين أنفسهم، ولا غرابة في ذلك فهؤلاء المؤمنون هم أحباء المسيح (لوقا 12: 4)، ومكرمون لديه (أشعيا 43: 4)، وفيهم تتركز مسرته (لوقا 2: 14) ولذاته (أمثال 8: 31)، كما أن الوحي يشبههم بالحجارة الكريمة (خروج 39: 9 – 16) وبعروس المسيح (رؤيا 21: 9)، والعروس أغلى من كل غال لدى العريس النبيل، ومن أجلها يضحي بكل غال ونفيس.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

2: 9 – 22)، وهذه الصفات لا يوصف بها المؤمنون الحقيقيون ، لأن هؤلاء يوصفون بأنهم أبرار، وأولاد الله، ومملوؤن من ثمر البر، وأحرار في المسيح (1 يوحنا 3: 2، يوحنا 8: 36، فيلبي 1: 11)، كما أنهم يوصفون بأنهم مثل الحملان التي تطيع راعيها ولا تطيق القذارة على الإطلاق (لوقا 10: 3)، ولذلك فالآيات التي نحن بصددها ليست دليلاً على جواز هلاك المؤمنين الحقيقيين، إنما دليل على أن المؤمنين المزيفين لا بد أن ينكشف أمرهم ويتضح للناس ما انطوت عليه نفوسهم من نجاسة وشر، وفي نهاية الأمر لا بد أن ينالوا من الله القصاص الأبدي الذي يستحقونه[1].

2- قال بطرس الرسول "لأنه الوقت لابتداء القضاء من بيت الله، فإن كان (هذا القضاء) أولاً منا، فما نهاية الذين لا يطيعون إنجيل الله؟ وإن كان البار بالجهد يخلص، فالفاجر والخاطئ أين يظهران؟" (1 بطرس 4: 17 – 18)

المعنى (أ) كلنا يعلم أن اله لكماله المطلق لا تطغى محبته على قداسته أو رحمته على عدالته، ولذلك إذا وجد واحداً من المؤمنين الحقيقيين قد فعل خطية ما، فإنه وإن كان لا يقضي عليه بالهلاك الأبدي بفضل كفارة المسيح التي اعتمد عليها هذا المؤمن من كل قلبه، غير أنه تعالى يوقع عليه ما يراه مناسباً من التأديب حتى يكف عن الخطية (1 بطرس 4: 1) ولا يدان مع العالم (1 كورنثوس 11: 32)، ولذلك فهذا

[1] – مما تجدر ملاحظته في هذه المناسبة أن الآيات المذكورة أعلاه، وغيرها من الآيات التي على شاكلتها، وإن كانت لا تمس سلام المؤمنين الحقيقيين من جهة الأبدية، لكنها تدعوهم إلى التدقيق الكلي في سلوكهم، والمواظبة على إخضاع قلوبهم وعقولهم لله كل حين، حتى يظلوا في حالة الشركة معه والاستعداد لخدمته وإكرامه.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

التأديب أو القضاء يكون في الوقت الحاضر. وقوله "لأنه الوقت لابتداء القضاء من بيت الله (أو بالحري من المؤمنين الحقيقيين)"، خير شاهد على هذه الحقيقة. وإذا كان كذلك فالقول "إن كان البار بالجهد يخلص"، لا يراد به أنه بالجهد يخلص من الدينونة الأبدية، بل يخلص من التأديب أثناء وجوده على الأرض، إذا انحرف عن حق الله (1 كورنثوس 11: 31)

(ب) مما تقدم يتضح لنا أن الشيطان وإن كان يستعمل كل الوسائل ليبعد المؤمنين الحقيقيين عن الله، غير أن الله في محبته الغنية لا يتركهم وشأنهم بل يجتذبهم إليه بكل وسيلة من الوسائل. وإن اقتضى الأمر، فإنه يوقع عليهم أقسى التأديبات، حتى يمتنعوا عن الأهواء والشهوات العالمية ويلزموا طريق القداسة الذي يتفق مع مقامهم في المسيح (عبرانيين 12: 10)، كما ذكرنا فيما سلف.

3- قال يعقوب "لا تكونوا معلمين كثيرين يا أخوتي، عالمين أننا نأخذ دينونة أعظم" (يعقوب 3: 1 و 2)، فإذا كان هذا هو الحال مع يعقوب نفسه، فماذا يكون الحال معنا.

الرد (أ) كانت العادة الشائعة عند اليهود قديماً أن كل من أقيم معلماً للناموس، يجمع حوله فريقاً من الناس لكي يظهر لهم ما لديه من علم، بينما يكون في الواقع جاهلاً وفي حاجة ماسة إلى التعليم. وفي العصر الرسولي أيضاً تطاول بعض الذين عرفوا الإنجيل وأخذوا مركز المعلمين لكي (حسب اعتقادهم) ينافسوا الرسل في خدمتهم (2 كورنثوس 11)، وهؤلاء الأشخاص قد تناسوا أنهم جهلة وخطاة، وأنهم

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

بتصرفهم هذا يحطون من مركز التعليم ويسببون العثرة للمؤمنين، ولذلك تكون لهم دينونة أعظم من الأشخاص الذين لا يتصرفون مثل تصرفهم.

(ب) وإذا كان ذلك كذلك، أدركنا أن يعقوب يضم نفسه إلى هؤلاء المعلمين، ليس لأنه واحد منهم، بل لأنه يحمل خطيتهم على نفسه من باب العطف عليهم، حتى يلفت أنظار السامعين إلى حديثه ويؤثر في ضمائرهم. وقد نحا هذا النحو بعينه بولس الرسول فقال مرة "إن أخطأنا باختيارنا .... لا تبقى بعد ذبيحة عن الخطايا" قاصداً بذلك ليس نفسه والرسل معه، بل اليهود الذين كان يخاطبهم فحسب.

4- قال بولس الرسول "لأن كثيرين يسيرون ممن كنت أذكرهم لكم مراراً، والآن أذكرهم أيضاً باكياً وهم أعداء صليب المسيح، الذين نهايتهم الهلاك، الذين إلههم بطنهم ومجدهم في خزيهم، الذين يفتكرون في الأرضيات" (فيلبي 3: 18 – 19).

المعنى: (أ) من هذه العبارة يتضح لنا أن الأشخاص المذكورين بالإضافة إلى فجورهم وشرورهم، كانوا أعداءً لصليب المسيح. وبما أن المؤمنين الحقيقيين حتى إن علموا خطية ما، لا يمكن أن يكونوا أعداء لصليب المسيح، إذ أنهم جميعاً يفتخرون بالصليب كل الفخر ويعتزون به كل الاعتزاز (غلاطية 6: 14)، إذاً فهؤلاء الأشخاص هم مؤمنون بالاسم فحسب. وعن مثل هؤلاء قال يوحنا الرسول مرة "منا خرجوا، لكنهم لم يكونوا منا، لأنهم لو كانوا منا، لبقوا معنا" (1 يوحنا 2: 19).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

(ب) فهذا الفريق من الناس والفريق الذي تحدثنا عنه فيما سلف، يشـــبهان الأرض التي تكمن داخلها الأحجار أو التي تنبت فيها الأشواك (مـــت 23: 18 – 23)، فإن البذور وإن كانت تنمو فيها أحياناً، لكن سرعان ما تلتف حولها الأشواك وتخنقها، أو تعترض طريقها الأحجار فتعطل نموها وتقضي عليها – وهذان النوعـــان من الأرض (كما يتضح من حديث المسيح، ليسا رمزين للمؤمنين الحقيقيين، إنما هما رمزان للمؤمنين بالاسم، الذين يسمعون أقوال الله، ولكن لأنهم يختزنونها في عقولهم وليس في قلوبهم، لا يستطيعون أن يأتوا بثمر ما.

(جـــ) فضلاً عما تقدم، فإننا إذا وضعنا أمامنا أن قول الرسول "لأن كثيرين ممن كنت أذكرهم لكم مراراً"، لا يراد به أنه كان يذكرهم بالمدح والثناء، بل كان يذكرهم محذراً المؤمنين الحقيقيين منهم [والدليل اللغوي على ذلك أنه لا يقول (ولكن الآن أذكرهم باكياً)، بل يقول "والآن أذكرهم أيضاً باكياً"، متجنباً كلمة (ولكـــن) التي تدل على اختلاف ما بعدها عما قبلها، ومستعملاً عوضاً عنها كلمة "أيضاً" التي تدل على أن ما بعدها يتمشى مع ما قبلها، ومستعملاً عوضاً عنها كلمة "أيضاً" التي تدل على أن ما بعدها يتمشى مع ما قبلها]، أدركنا أن هؤلاء الأشخاص أنفسهم هم الأنبياء الكذبة. الذين كان الرسول يحذر المؤمنين الحقيقيين منهم من قبل كما ذكرنا – وتتضح هذه الحقيقة بكل جلاء في التراجم الأجنبية – اقرأ مـــثلاً نســـخة The Diaglott اليونانية الإنجليزية، ونســـختي (The New English Bible & Moffatt) الإنجليزيتين.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

5- قال بولس الرسول عن نفسه "أقمع جسدي واستعبده، حتى بعد ما كرزت للآخرين [وأصبحوا (مثلاً) مؤمنين عاملين] لا أصير أنا نفسي مرفوضاً" (1 كورنثوس 9: 27).

المعنى: (أ) بالرجوع إلى الإصحاح المقتبسة منه هذه الآيات، يتضح لنا أن هذا الرسول كان يجاهد ليس لكي يخلص نفسه من العذاب الأبدي، بل لكي يخلص الآخرين منه – كما أنه كان يجاهد ليس لكي تكون له الحياة الأبدية، بل لكي يفوز بالإكليل جزاء لجهاده في خلاص الآخرين (1 كورنثوس 9: 25). لذلك فالرفض الذي كان يخشاه ليس هو الحرمان من الحياة الأبدية[1]، بل الحرمان من الإكليل. والإكليل ليس هو الحياة الأبدية، بل هو المكافأة التي يعطيها الله للمؤمنين الحقيقيين لأجل خدمتهم له في العالم الحاضر، وذلك بجانب الحياة الأبدية التي هي هبة منه بفضل كفارة المسيح. ولعل أوضح دليل على ذلك، أن الأكاليل كثيرة. أما الحياة الأبدية فواحدة، وأن الوحي يذكر عن المؤمنين الحقيقيين أنهم في سجودهم للمسيح في الأبدية سيطرحون أكاليلهم عند قدميه[2] (رؤيا 4: 10)، والحياة الأبدية لا تطرح بأي معنى من المعاني.

---

[1] – وطبعاً يجب ألا يتسرب إلى الذهن، أنه لنا نحن المؤمنين أن نعيش في الخطية طالما أن لنا حياة أبدية، حاشا!! لأننا نحن الذين متنا عن الخطية، كيف نعيش بعد فيها؟ (رومية 6: 2)، بل كل ما ننبه إليه أن الحياة الأبدية هي هبة من الله وليست جزاء عن أي عمل صالح، للأسباب السابق ذكرها.

[2] – إن طرح المؤمنين الحقيقيين لأكاليلهم دليل طبعاً على شعورهم جميعاً بعدم استحقاقهم لأي جزاء عن أعمالهم الصالحة مهما كانت قيمتها (لأن خلاصهم هو بفضل نعمة الله المجانية دون غيرها)، وكأن لسان حالهم

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

(ب) ويتضح لنا صدق ما تقدم إذا درسنا الآية التي نحن بصددها في ضـــوء التشبيه الذي استخدمه الرسول المذكور. فإن رجل السباق الذي ذكره يجب (أولاً) أن يكون إنساناً حياً وليس ميتاً، وهكذا الحال من جهة الجهاد الروحي فإنه لا يقوم به الشخص الخاطئ الميت بالذنوب والآثام، بل المؤمن الحقيقي الذي له حياة روحية أبدية (ثانياً) إن الشخص المذكور إذا لم يحرز الفوز في السباق، لم يكن يتعرض للإعدام أو الطرد من بلاده أو الحرمان من جنسيته، بل كان يحرم فقط من الجعالة أو المكافـــأة، وإنه لذلك كان يدعى مرفوضاً" – وهذه الكلمة بعينها هي التي اعتبر الرسول نفسه مستحقاً أن يوصف بها في حالة عدم قيامه بقمع جسده واستعباده[1]، أو بـــالحري في حالة التراخي في خدمة الرب وخلاص النفوس، الأمر الذي يدل على أن الرفض الذي كان يتحاشاه، ليس هو الرفض من جهة الحياة الأبدية، بل الرفض من جهة المكافأة، لأن هذه لا تعطى إلا للمجاهدين من خدام الإنجيل وغيرهم من الذين يكرمون الرب بأعمالهم الصالحة.

(جـــ) أخيراً نقول: إن الكلمة اليونانية المترجمة إلى العربية مرفوضاً، يمكن أن تترجم أيضاً "غير مؤهل" أو "بدون برهان"، أو بالحري غير مؤهل للخدمة، وبـــدون

يقول للمسيح "إننا مهما عملنا أو ضحينا لأجل اسمك، لا نكون قد فعلنا شيئاً يذكر إزاء فضلك علينا، فأنت وحدك الذي تستحق أن تقدم لك الأكاليل وتقدم لك عند قدميك".

[1] – الراجح أن قمع الجسد واستعباده، لا يراد به هنا القضاء على الأهواء الجسدية المحرمة (لأن هذا الرســـول كان قد قطع علاقته بها أو بالحري مات بالنسبة لها)، بل يراد به عدم إعطاء الجسد كل ما يطلبه من الطعام أو اللباس أو الراحة، حتى يتفرغ هو تفرغاً تاماً لخدمة الله في كل حين.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

برهان على أحقيته في القيام بها (كما جاء في نسخة The Diaglott اليونانية الإنجليزية وترجمة Moffatt الإنجليزية). كما أن هذه التسمية بعينها، هي كلمة "مرفوضون" [الواردة في قول الرسول (وأصلى إلى الله أنكم لا تعملون شيئاً رديئاً، ليس لكي نظهر نحن مزكين، بل لكي تصنعوا أنتم حسناً ونكون كأننا مرفوضون" (2 كورنثوس 13: 6 – 7)]، ومعناها (كما نعلم) ليس محرومين من السماء، بل معناها "عاطلون أو غير نافعين للخدمة"، الأمر الذي يدل على أن بولس الرسول كان يجاهد في خدمة الإنجيل لا خشية أن يهلك إلى الأبد مثل الأشرار والفجار، بل خشية أن يكون عاطلاً أو عديم النفع في خدمة الإنجيل، وأن يحرم تبعاً لذلك من المكافأة كما ذكرنا.

6- قال بولس الرسول للعبرانيين "لأن الذين استنيروا مرة وذاقوا الموهبة السماوية، وصاروا شركاء الروح القدس، وذاقوا كلمة الله الصالحة، وقوات الدهر الآتي[1] وسقطوا، لا يمكن تجديدهم أيضاً للتوبة. إذ هم يصلبون لأنفسهم ابن الله ثانية ويشهرونه، لأن أرضاً قد شربت المطر الآتي عليها مراراً كثيرة وأنتجت عشباً صالحاً للذين فلحت من أجلهم تنال بركة من الله. ولكن إن أخرجت شوكاً فهي مرفوضة وقريبة من اللعنة التي نهايتها للحريق" (عبرانيين 6: 4 – 8)

[1] – بما أن في الأبدية سيكون المؤمنون الحقيقيون قد دخلوا إلى المجد، والمؤمنون بالاسم وغير المؤمنين قد ذهبوا إلى العذاب، ولا يكون هناك مجال بعد لعمل قوات أو معجزات لأي غرض من الأغراض، لذلك فإن "الدهر الآتي" المذكور في هذه الآيات، لا يراد به إلا الملك الألفي الذي ذكرنا عنه شيئاً فيما سلف، لأن في هذا الملك سوف تتجلى قوات الله ومعجزاته لكل الناس، والمعجزات التي ستظهر في هذا الملك، قد سبق المسيح وصنع عينة منها في قيامه بشفاء المرضى وتهدئة العواصف وإشباع الجياع، ورد الضالين إلى طريق الله.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

المعنى (أ) بالرجوع إلى الإصحاح المقتبسة منه هذه الآيات يتضح لنا أنها تتحدث عن أشخاص بعدما اعتنقوا المسيحية عادوا إلى اليهودية التي خرجوا منها، وبعملهم هذا كأنهم يرفضون المسيح ويصلبونه مرة ثانية، إذ بعودتهم إلى هذه الديانة يعلنون أن الخلاص لا يكون بالمسيح بل بالذبائح والناموس، ولذلك قال الوحي عنهم أنهم "سقطوا". وكلمة "سقطوا" هنا ترد في الأصل اليوناني "باربيتو"، ومعناها ليس "سقطوا" فقط، بل "سقطوا بعيداً" أو بالحري "ارتدوا عن المسيح[1] – وطبعاً أشخاص مثل هؤلاء لا يمكن تجديدهم أيضاً للتوبة أو تأهيلهم للقبول أمام الله، لأنه ليس هناك مجال للتوبة والقبول أمامه بعد التحول عن كفارة المسيح والاستعاضة عنها بالناموس والذبائح الحيوانية. أما المؤمنون الحقيقيون إذا سقطوا في خطية ما، فإن الله يغفرها لهم عند رجوعهم إليه واعترافهم القلبي بها أمامه (1 يوحنا 1: 9)، كما أن المؤمنين بالاسم وغير المؤمنين معاً يفتح الله أمامهم باب التوبة إلى نهاية حياتهم على الأرض، وعندما يتوبون ويؤمنون إيماناً حقيقياً يعطيهم حياة أبدية.

[1] – "فالسقوط" هنا يختلف عن السقوط الوارد ذكره في الآية "أذكر من أين سقطت وتب" (رؤيا 2: 5). لأن السقوط هي هذه الآية يرد في الأصل اليوناني "بيبتو" ومعناه مجرد "الهبوط" أو بالحري السقوط في الخطأ دون الانفصال عن المسيح. أما السقوط المذكور أعلاه، فيراد به الارتداد عن المسيح والانفصال عنه. ولذلك إذا شبهنا المسيح بالسفينة، يكون الارتداد (أو السقوط بعيداً) هو السقوط من السفينة إلى البحر، والذي مآله الضياع والهلاك. ويكون السقوط دون الارتداد، هو السقوط داخل السفينة، والذي مآله النهوض ولو بعد حين – لأن المؤمن الحقيقي يستطيع مع هذا السقوط أن يتحدى الخطية قائلاً "لا تشمتي بي يا عدوتي. إذا سقطت أقوم" (ميخا 7: 8)، فالصديق يسقط سبع مرات ويقوم (أمثال 24: 16).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

(ب) كما أن الصفات التي يسندها الرسول إلى الأشخاص السابق ذكرهم، لا تقوم دليلاً على أنهم كانوا مؤمنين بالحق، وذلك للأسباب الآتية:

(1) إن "الاستنارة مرة" قد لا تعني أكثر من أن الحق الإلهي ضاء على نفوسهم فترة من الزمن، دون أن يستقر فيها – وبلعام العراف كانت له هذه الاستنارة، ومع ذلك لم يكن من المؤمنين الحقيقيين (العدد 24: 16)

(2) و "تذوق المواهب السماوية وقوات الدهر الآتي"، قد لا تعني أكثر من إدراكهم السطحي لهذه وتلك[1]، دون أن يكون لهذا الإدراك أثر في قلوبهم – وأشخاص كثيرون كان لهم الإدراك المذكور، بل وكانوا يعملون المعجزات، ومع ذلك سوف لا يكون لهم نصيب سوى العذاب الأبدي، فسيقول المسيح في وقت المحاكمة "إني لم أعرفكم قط، اذهبوا عني يا فاعلي الإثم"، لأشخاص قالوا أنهم كانوا يتنبئون ويخرجون شياطين باسمه (متى 7: 21 – 22).

(3) و "شركة الروح القدس" لا يراد بها هنا الاتحاد الدائم بالروح القدس الذي يتمتع به المؤمنون الحقيقيون ا لمولودون من الله (يوحنا 14: 16 – 25)، بل

[1] – يقول البعض إن كلمة "ذاق" هنا، هي بذاتها المستعملة في الآية القائلة إن المسيح ذاق بنعمة الله الموت"، وبما أن المسيح مات فعلاً، يكون العبرانيون الذين ذكرهم الرسول هنا تمتعوا فعلاً في نفوسهم بالمواهب السماوية وقوات الدهر الآتي، ومن ثم يكونون (حسب رأي هذا البعض) من المؤمنين الحقيقيين، ولكن غاب عن القائلين بهذا الرأي أن كلمة "ذاق" التي نحن بصددها ترد أيضاً بمعنى الذوق دون الشرب العملي، كما في القول "فلما ذاق، لم يرد أن يشرب" (متى 27: 34)، ولذلك لا مجال بعد ما سبق ذكره من إيضاح للقول إن الأشخاص المذكورين كانوا من المؤمنين الحقيقيين.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

يراد بها مجرد الإحساس بعمله وقتاً[1] ما – وشاول أول ملك لليهود وقع مرة تحت تأثير الروح القدس فأخذ يتنبأ مع الأنبياء، ومع ذلك كان شخصاً بعيداً عن الله لأنه لم يكن من رجال الإيمان (1صموئيل 1: 11 – 12).

(4) و "تذوق كلمة الله"، أو بالحري مجرد الشعور بأهميتها وفائدتها، يشترك فيه كل الذين يصغون إليها ويفهمونها، ولكن لا يعطونها مجالاً للتأثير على نفوسهم – كما هي الحال مع رجال الدين الذين ينادون بكلمة الله، ومع ذلك فإن قلوبهم بعيدة عن الله بعداً عظيماً، ومن ثم لا يفرقون شيئاً أمامه عن أشر الخطاة.

(جـ) ولإزالة كل لبس يمكن أن يعلق بذهن القراء من جهة ما ذكرناه نقول: إن العبرانيين الذين كتب الرسول لهم هذه الأقوال كانوا فريقين: الفريق الأول هو المؤمنون بالاسم الذين ارتدوا بقلوبهم عن المسيح، وهؤلاء هم الذين يقول الرسول

---

[1] – إذا رجعنا إلى الأصل اليوناني نجد أن الكلمة المترجمة "شركة" هنا، هي "ميتوخوس"، ومعناها "المشاركة دون الاتحاد الفعلي الدائم". وهي نفس الكلمة المستعملة في الآيات "شركاء في السلطان" و "شركاء في الآلام" (1 كورنثوس 9: 12: 2)، (2 كورنثوس 1: 7)، بينما "الشركة" بمعنى الاتحاد الفعلي الدائم، ترد في الأصل اليوناني "كوينونيه"، كما هي الحال في الآيات الخاصة بأن شركة الروح القدس تكون مع المؤمنين الحقيقيين، وأن لهم شركة في جسد المسيح ودمه (2 كورنثوس 13: 14، 1 كورنثوس 10: 16).
فضلاً عن ذلك فإن العبارة "شركاء الروح القدس" المذكورة أعلاه، هي في اليونانية "شركاء في الروح القدس"، ولذلك يكون معناها (كما يقول علماء اللغة اليونانية) "شركاء في مواهب الروح القدس" وليس في أقنوميته، الأمر الذي يدل على أن الأشخاص الذين يتكلم عنهم الرسول، كانوا مؤمنين بالاسم فحسب كما ذكرنا، لأن المؤمنين الحقيقيين لهم شركة في مواهب الروح القدس، ولهم أيضاً صلة مستمرة بأقنوميته.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

عنهم "أنهم سقطوا ولا يمكن تجديدهم أيضاً للتوبة"[1] والفريق الثاني هو المؤمنون بالحق الذين ظلوا مؤمنين بالمسيح، ومن ثم يمسك المسيح بهم ويحفظهم معه إلى الأبد، وهؤلاء قال الرسول لهم بعد الآيات السابق ذكرها: "ولكننا قد تيقنا من جهتكم أيها الأحباء أموراً أفضل ومختصة بالخلاص، وإن كنا نتكلم هكذا"، كما قال هلم "فلذلك إذ أراد الله أن يظهر أكثر كثيراً لورثة الموعد عدم تغيير قضائه توسط بقسم، حتى بأمرين عديمي التغير (هما الوعد والقسم) لا يمكن أن الله يكذب فيهما، تكون لنا تعزية قوية، نحن الذين التجأنا لنمسك بالرجاء الموضوع أمامنا" (عبرانيين 6: 9 – 18)، الأمر الذي يدل على أن التحذير المقترن بالتهديد وجهه الرسول إلى المؤمنين بالاسم فقط، أما المؤمنون بالحق فقد وجه إليهم كلمات التعزية والتشجيع والتعضيد.

(د) أخيراً نقول: إن الأرض (التي شربت المطر الآتي عليها مراراً كثيرة ثم أخرجت شوكاً وحسكاً، ولذلك تكون مرفوضة وقريبة من اللعنة وحريق النار) تمثل الإسرائيليين كأمة، فالله كان قد أرسل إليهم عشرات الأنبياء محرضاً إياهم على التوبة ومعلناً لهم عن خلاصه في المسيح، ولكنهم رفضوا كل أقواله واستمروا في شرهم وطغيانهم، ولذلك رفضهم الله وصب عليهم لعنته، فأثار عليهم الرومان الذين أحرقوا

---

[1] – أما القول "بأن العبارة المذكورة أعلاه تدل على أن العبرانيين المذكورين كانوا مؤمنين حقيقيين)، فليس بصواب، لأن التوبة كما تكون حقيقية، تكون أيضاً ظاهرية. كما أن كلمة تجديد هنا ترد في اليونانية "كاينوس"، وهذه الكلمة لا يراد بها التجديد بمعنى تغيير الاتجاه الذي يتم بالتوبة العادية، بل بمعنى جعل الكل جديداً بالتمام، الأمر الذي يدل على أن خطيتهم لم تكن خطية عادية، بل خطية الارتداد عن المسيح، التي لا يقع فيها إلا المؤمنون بالاسم والتي لا تتطلب التوبة فحسب، بل إعادة خلقهم من جديد.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

عاصمتهم وهدموا هيكلهم، حتى لم يبق فيه حجر على حجر وبالإضافة إلى ذلك سوف تكون نهايتهم العذاب إلى الأبد مع غيرهم من الأشرار والفجار، إن لم يتوبوا عن خطاياهم ويؤمنوا بالمسيح إيماناً حقيقياً.

7- وقال بولس الرسول للعبرانيين أيضاً "فإنه إن أخطأنا باختيارنا بعد ما أخذنا معرفة الحق، لا تبقى بعد ذبيحة عن الخطايا، بل قبول دينونة مخيف وغيرة نار عتيدة أن تأكل المضادين" (عبرانيين 10: 26).

المعنى (أ) بالرجوع إلى الكتاب المقدس يتضح لنا أن الخطايا التي لا تغفر، هي خطية التجديف على الروح القدس[1] وخطية إنكار المسيح، أما باقي الخطايا فتغفر عند

[1] – خطية التجديف على الروح القدس" (أو بالحري إسناد معجزات إخراج الشياطين التي كان المسيح يقوم بها، إلى بعلزبول رئيس الشياطين) لم يكن لها وجود إلا في عصر المسيح. وهذه الخطية لا تغفر لأنها إصرار على عدم الإيمان بالروح القدس على الرغم من توافر الأدلة الملموسة على وجوده، إذ من الواضح أن رئيس الشياطين لا يخرج شياطين، لأنه لو فعل ذلك لخربت مملكته (متى 12: 22 – 29).

ومما تجدر ملاحظته في هذه المناسبة أن قول المسيح "من قال كلمة على ابن الإنسان يغفر له، وأما من قال كلمة على الروح القدس فلن يغفر له" (متى 12: 32) لا يستنتج منه إطلاقاً أن الابن أقل مقاماً من الروح القدس، بل كل ما في الأمر أنه نظراً لأن ظهور الابن في العالم كان في هيئة إنسان، لم يستطع بعض الذين رأوه في هذه الهيئة أن يؤمنوا (ربما بحسن نية) أنه "ابن الله" كما قال لهم، ولذلك التمس لهم المسيح وقتئذ بعض العذر في عدم إيمانهم. أما الروح القدس فنظراً لأنه ظهر في العالم بكامل قوته ومجده، لا يكون هناك عذر للذين يشكون في شخصيته. وتكون النتيجة الحتمية لذلك، أن كل من يؤمن أن المسيح هو "ابن الله" بسبب ظهوره في هيئة إنسان، لكن رأى معجزاته التي كان يعملها بقوة الروح القدس، لا يبقى أمامه عذر إذا كان يستمر في عدم إيمانه بالمسيح. ولذلك قال المسيح لليهود "إن كنت لست أعمل أعمال أبي، فلا تؤمنوا بي. ولكن إن كنت أعمل،فإن لم تؤمنوا بي، فآمنوا بالأعمال لكي تعرفوا وتؤمنوا أن الآب في وأنا فيه" (يوحنا 10: 37 – 38).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

الاعتراف بها والإقلاع عنها، فمكتوب "إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا[1] ويطهرنا من كل إثم" (1 يوحنا 1: 9)، أي أن الغفران الذي ننالـه بالاعتراف لا يكون نابعاً من عطف الله ورحمته فحسب (كما يعتقد معظم الناس) بل ومن أمانته وعدالته أيضاً، وذلك بفضل كفارة المسيح الدائمة الأثر، الأمر الذي يبعث إلينا الثقة الكاملة في الحصول على هذا الغفران.

ومن ثم فالخطأ الوارد ذكره في الآيات التي نحن بصددها ليس هو الانحراف عن حياة التقوى والقداسة (وإن كان خطأ مثل هذا له خطورته ويقع تأديب الله على فاعله)، بل هو إنكار المسيح أو مقاومة الخلاص الذي قام الله به في شخصـه. لأن الرسول يقول عن فاعلي هذا الخطأ إنهم مضادون (أو مقاومون) للحـق – ونظـرة واحدة إلى الإصحاح الوارد فيه هذه الآيات تثبت الحقيقة التي ذكرناها، فالرسول كان يقارن للعبرانيين بين الذبائح الحيوانية التي لم تستطع التكفير عن خطاياهم أو تكميلهم (عدد 10 – 11)، وبين ذبيحة المسيح التي كفرت عن كـل الخطايـا وأكملـت

[1] – يتضح لنا من الكتاب المقدس أن هناك نوعين من الغفران (الأول) الغفران الأبدي عن كل الخطايا الماضية والحاضرة والمستقبلة، وهذا الغفران يحصل عليه المرء عندما يؤمن إيماناً حقيقياً بالمسيح، وبفضل هذا الغفران لا يأتي إلى دينونة، بل انتقل من الموت إلى الحياة، وأصبح ابناً لله له طبيعة الله الأدبية كما ذكرنا فيما سـلف. (الثاني) الغفران الوقتي، وهو عن الخطايا التي يعترف بها المؤمن الحقيقي أمام الله، والغرض منه العودة إلـى حالة الشركة مع الله وفتح المجال أمامه للعبادة والخدمة في الزمن الحاضر – فمثل المؤمنين الحقيقيين والحالة هذه مثل الأبناء البررة، فإنهم إذا أساؤا مرة في تصرفاتهم، لا ينكر أبوهم بنوتهم له أو يطردهم من بيته، ولكن يحجب وجهه عنهم ولا يخالطهم، وهذا ما يحز في نفوسهم ويؤلمهم كثيراً. إنما عندما يعودون إليـه معتـرفين بإساءتهم ومتعهدين بعدم العودة إليها، يصفح عنهم ويردهم إلى حالة الشركة معه التي كانت لهم من قبل.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

المقدسين إلى الأبد (عدد 14 – 18)، ومن ثم يكون الخطأ، الذي أشار إليه الرسول بعد ذلك مباشرة في قوله "فإنه إن أخطأنا"، هو طبعاً رفض المسيح والعودة إلى الناموس والذبائح اليهودية كما ذكرنا. لأنه إذا كانت ذبيحة المسيح هي وحدها التي تكفر عن الخطايا، لا تكون هناك كفارة لمن يرفضون هذه الذبيحة (كما فعل الأشخاص الوارد ذكرهم في الإصحاح)، بل تكون لهم دينونة مخيفة.

(ب) والعودة إلى الناموس والذبائح الحيوانية، بعد معرفة كمال كفارة المسيح، تعتبر كما ذكر الوحي "دوساً لابن الله واحتقار لدم العهد وازدراء بروح النعمة" (عدد 29) – وهذه الأعمال لا تصدر طبعاً من أحد المؤمنين الحقيقيين، لأن هؤلاء إن سقطوا في خطية ما، لا يمكن مطلقاً أن تكون خطية دوس ابن الله، أو الازدراء بروح النعمة، أو احتقار دم العهد، بل إنهم بجانب ما يشعرون به من أسى في نفوسهم بسبب هذا السقوط، يعظمون النعمة ويمجدون دم العهد، ويكرمون ابن الله، الذي أحبهم إلى المنتهى على الرغم من الطبيعة البشرية الفاسدة الكامنة فيهم، ولذلك لا يجوز اتخاذ هذه الآيات دليلاً على جواز تعرض أحد المؤمنين للدينونة الأبدية.

(جـ) أما عن الاعتراض [إن هؤلاء الأشخاص مكتوب عنهم أنهم قدسوا بدم العهد (عدد 29)، وأنهم تبعاً لذلك يكونون من المؤمنين الحقيقيين]، فنقول إن كلمة التقديس لا ترد فقط بمعنى التكميل، بل ترد أيضاً بمعنى "التخصيص والتكريس" فالقول عن شخص إنه مقدس للرب، معناه "مكرس ومخصص له". وهذه الكلمة ترد بمعنى أوسع للدلالة على قبول الوجود في الدائرة المسيحية، حتى مع عدم الإيمان

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

بالمسيح. فالمرأة غير المؤمنة (أو بالحري الوثنية أو اليهودية)، التي كانت فيما سلف مقترنة بشخص من ديانتها، ولكن لما أتت المسيحية آمن بالمسيح دونها، وعلى الرغم من ذلك أرادت أن تظل معه، كانت تعتبر "مقدسة فيه" (1 كورنثوس 7: 11).

وإذا كان ذلك كذلك، أدركنا أن تقديس العبرانيين المذكورين بدم العهد، لا يراد به تكميلهم أو جعلهم بلا لوم أمام الله. بل اعتبارهم بسبب إيمانهم الظاهري بالمسيح أنهم أصبحوا من المنتمين إليه، ومن ثم يكون تقديسهم (إن جاز التشبيه)، مثل تقديس زوجة غير مؤمنة كانت منتسبة إلى رجل مؤمن، فإن مجرد انتسابها إليه لا يخلصها من خطاياها أو يعطيها حياة أبدية ــ وقد أشار الرسول إلى هذا التقديس العام فقال في موضع آخر من رسالته إلى العبرانيين عن المسيح "لكي يقدس الشعب بدم نفسه، تألم خارج الباب" (عبرانيين 13: 12)، وتقديس المسيح للشعب (أو بالحري للشعب بأسره) لا يترتب عليه أن يخلصوا جميعاً أو يصبحوا بلا لوم أمام الله، (لأن الذين يتمتعون بهذين الامتيازين، هم فقط المؤمنون الحقيقيون)، بل أن يكونوا فقط على مقربة منه ويمكنهم التمتع بخلاصه إذا آمنوا إيماناً حقيقياً.

8- قال الله: "أما البار فبالإيمان يحيا، وإن ارتد لا تسر به نفسي" (عبرانيين 10: 38).

المعنى: (أ) إن "الارتداد" يراد به التحول عن المسيحية والعودة إلى اليهودية كما ذكرنا فيما سلف. والآية بالوضع الذي هي عليه، لا تدل على أن الرسول يؤكد أن باراً قد ارتد، بل تدل على أن الرسول في سبيل التنبير على حقيقة الخلاص بالإيمان

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

الحقيقي بالمسيح دون سواه، يفترض أسوأ الفروض، أو يفترض المستحيل كما يقولون (لأن كلمة إن لا يراد بها التأكيد بل الافتراض)، فيعلن أن الله لا يسر بأي إنسان يرتد إن الإيمان بالمسيح، حتى إن كان هذا الإنسان باراً لديه، ولذلك فهذه الآية بالوضع الواردة به ليست دليلاً على جواز هلاك البار أو المؤمن الحقيقي، بل هي تحذير عام لأكبر العبرانيين وأصغرهم من خطر العودة إلى اليهودية، الذي كانوا يتعرضون له كثيراً بسبب الاضطهاد الذي كان يحيق بهم من ذويهم، أو بسبب محاولة الكهنة المتكررة لإعادتهم إلى هذه الديانة.

(ب) فكلمة "إن" في الآية التي نحن بصددها تشبه إذاً كل الشبه نظيرتها في قول الرسول للغلاطيين "إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم به، فليكن أناثيما (أو محروماً)" (غلاطية 1: 8)، فإن الرسول لا يقصد بها أنه من الممكن أن يبشرهم يوماً، بغير ما بشرهم به من قبل، بل إنه يفترض أسوأ الفروض أو يفترض المستحيل كما ذكرنا، لكي يحذر الغلاطيين من التحول عن الإنجيل الذي نادى لهم به، مهما كانت الأحوال أو الظروف. ومع كلٍ فالرسول قد أغلق الباب أمام أي ظن من جهة جواز ارتداد المؤمنين الحقيقيين عن المسيح، فقد قال بعد هذه الآية مباشرة "وأما نحن فلسنا من الارتداد للهلاك، بل من الإيمان لاقتناء النفس" أو بالحري لخلاصها إلى الأبد (عبرانيين 10: 29).

ومع كلٍ فإن كلمة ارتد هنا، لا يراد بها إن ارتد البار، بل إن أرتد أحد، لأنه ليس هناك في الأصل اليوناني (كما يقول العلماء) ضمير يعود عل البار المذكور، [اقرأ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

مثلاً ترجمتي الكتاب المقدس: Darby& The New English Bible] فإذا كان ذلك كذلك، لا يبقى هناك شك في أن الارتداد الوارد ذكره في الآية التي نحن بصددها، ليس خاصاً بالبار أمام الله والثابت في الإيمان أمامه، بل خاص بشخص مؤمن بالاسم يمكن أن يتعرض للارتداد وتكون نهاية الهلاك.

7- قال بولس الرسول عن المسيح إنه "صالحكم الآن في جسم بشريته بالموت ليحضركم قديسين وبلا لوم ولا شكوى أمامه، إن ثبتم على الإيمان، متأسسين وراسخين وغير منتقلين عن رجاء الإنجيل الذي سمعتموه" (كولوسي 1: 23). وقال أيضاً عن المسيح، "وبيته نحن إن تمسكنا بثقة الرجاء وافتخاره ثابتة إلى النهاية" (عبرانيين 3: 6 – 14).

المعنى (أ) إن ثبات الإنسان على الإيمان دليل على أنه مؤمن حقيقي، وعدم ثبات آخر على الإيمان أو ارتداده عنه دليل على أنه كان مؤمناً بالاسم فحسب، فقد قال الرسول عن المرتدين "منا خرجوا، لكنهم لم يكونوا منا. لأنهم لو كانوا منا لبقوا معنا" (1 يوحنا 2: 9). والناس الذين تشبه قلوبهم الأرض الصخرية (أو بالحري الذين يكون إيمانهم إيماناً اسمياً أو سطحياً فحسب)، قيل عنهم أنهم "يؤمنون إلى حين وفي وقت التجربة يرتدون" (لوقا 8: 13). لذلك فالرسول باستعماله "إن" لا يقرر أن المؤمنين الحقيقيين يرتدون، بل يحذرهم فقط من خطر الارتداد. وقد وجه هذا التحذير إلى الكولوسيين والعبرانيين بصفة خاصة. لأن الكولوسيين كانوا معرضين للتأثر بآراء الفلاسفة الذين كانوا يقولون بتعذر الاتصال بالله إلا بواسطة طبقات من الملائكة،

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

يجب إكرامها وتقديم العبادة اللازمة لها (كولوسي 2: 18)، ولأن معظم العبرانيين كانوا معرضين للتأثر بآراء الكهنة الذين كانوا يقولون بضرورة حفظ الناموس والطقوس كشرط أساسي للحصول على الخلاص (أعمال 15: 1 – 24).

(ب) ومع كلٍ فإنه من ثنايا الآيات التي نحن بصددها، يمكن أن يتجلى لنا أن مقام المؤمنين الحقيقيين من العبرانيين والكولوسيين (الذين خاطبهم الرسول بهاتين الآيتين) كان ثابتاً أمام الله بناء على كفارة المسيح الدائمة الأثر. وأن الغرض من الشرط الوارد في هذه الآيات، هو فقط تحريضهم على نبذ آراء الفلاسفة والكهنة السابق ذكرهم، لأن الرسول لا يقول لهم (ونحن سنكون بيته، إن تمسكنا بثقة الرجاء)، بل يقول "وبيته نحن إن تمسكنا"، أي أن كوننا بيت الله[1]، هو حقيقة راهنة نتمتع بها الآن، وليس سوف نتمتع بها في المستقبل، ولا يقول (إن الله سيصالحنا إن ثبتنا على الإيمان)، بل يقول إنه "صالحنا الآن"، أي أن كوننا مصالحين مع الله، هو حقيقة راهنة نتمتع بها الآن، وليس سوف نتمتع بها في المستقبل.

[1] – "بيت الله" في العهد القديم هو الهيكل الذي بناه سليمان، أما في العهد الجديد فقد أعلن الله لنا أنه لا يسكن في هياكل مصنوعات الأيدي (أعمال 7: 48) بل يسكن في قلوب المؤمنين الحقيقيين، فقد قال عنهم إنهم هيكله وإن روحه يسكن فيهم (1 كورنثوس 3: 16)، ولذلك فإنهم أنفسهم هم بيت الله، كما يتضح من الآية التي نحن بصددها – وبهذه المناسبة نقول إن المرأة فيما سلف كان يقال عنها إنها "بيت الرجل" وإن الزواج كان يسمى "قدوشين" أي "تقديس" وإذا كان ذلك كذلك فلا غرابة إذا كان المؤمنون الحقيقيون يعتبروه "عروس المسيح" و "بيت الله" و "المقدسون له وحده"، كما أعلن الوحي.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

9- قال بولس الرسول "من أجل عدم الإيمان قطعت (الأمة الإسرائيلية) من الزيتونة الجيدة، وأنت "أيها الأممي) بالإيمان ثبت. لا تستكبر بل خف، لأنه إن كان الله لم يشفق على الأغصان الطبيعية، فلعله لا يشفق عليك أيضاً. فهوذا لطف الله وصرامته. أما الصرامة فعلى الذين سقطوا، وأما اللطف فلك إن ثبت في اللطف، وإلا فأنت أيضاً ستقطع من (الزيتونة الجيدة)" (رومية 11: 20 – 22).

المعنى: اتضح لنا مما سلف أن المؤمن الحقيقي هو الذي يثبت في المسيح، وأن المؤمن بالاسم هو الذي لا يثبت فيه، لأن علاقته مع المسيح هي علاقة ظاهرية فحسب، والآيات التي نحن بصددها لا تتعارض مع الحقيقة بل تؤيدها كل التأييد كما يتضح مما يلي:

(أ) فالزيتونة الجيدة كما نرى في الإصحاح المقتبسة منه هذه الآيات، رمز للدائرة التي ينال فيها البشر بركات الله على أساس الإيمان الحقيقي، والأغصان الطبيعية هم اليهود بوصفهم أول من نشؤا في هذه الدائرة، وذلك بسبب ولادتهم من إبراهيم الذي هو أبو المؤمنين واتصالهم بالأنبياء الذين كانوا يدعمونهم من وقت إلى آخر في هذه الدائرة. ولكن وجود اليهود في دائرة الإيمان لم يكن يضمن لهم الحصول على بركات الإيمان، إذا لم يظهروا إيمان إبراهيم في حياتهم. ولذلك قطع الله اليهود غير المؤمنين من الزيتونة الجيدة، وأخذ يطعم فيها الذين اعترفوا بالمسيح من الأمم الوثنية لكي يأتوا بثمر روحي عوضاً عنهم.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

ولذلك كان من البديهي أن ينذر الله هؤلاء الأشخاص بأنهم إذا لم يأتوا بثمر (أو بالحري إذا لم يكرموا الله في تصرفاتهم إزاء إحسانه عليهم)، فإنه كما لم يشفق على الأغصان الطبيعية (أو بالحري اليهود)، بل قطعهم وشتتهم، هكذا سيفعل بالأشخاص المذكورين أيضاً كما يتضح من سفر الرؤيا.

(ب) فحديث الرسول هنا، هو عن معاملة الله مع الأمة اليهودية، ومع الأمم المعترفة بالمسيحية بصفة عامة، أما المؤمنون الحقيقيون في الأمم المذكورة فإنهم يقدرون نعمة الله ويسيرون في سبيله، ولذلك لا يقطعون من الزيتونة، بل يظلون فيها عاملين على الإتيان بالثمر الذي يمجد الله، كما أنهم سيخطفون إلى السماء لكي يكونوا مع المسيح، قبل توقيع الدينونة الساحقة على هذه الأمم (1 تسالونيكي 4: 17).

ومما يثبت ذلك أن الأمة اليهودية (وإن لم تخل من وجود بعض أشخاص أتقياء فيها إلى الآن) لكن لأنها رفضت المسيح، كأمة قطعها الله تماماً من مركز الشهادة له في العالم – وعدم وجود هيكل لها في الوقت الحاضر كما كان لها من قبل، خير شاهد على هذه الحقيقة. ولكن الذين آمنوا من هذه الأمة إيماناً حقيقياً بالمسيح لم يقطعوا من الزيتونة، بل ظلوا فيها مع الذين آمنوا بالمسيح من الأمم الأخرى، يشهدون معهم له ويتمتعون ببركاته ويثمرون لمجده.

10- قال الوحي "ولكن الروح يقول صريحاً إنه في الأزمنة الأخيرة يرتد قوم عن الإيمان تابعين أرواحاً مضلة وتعاليم شياطين، في رياء أقوال كاذبة موسومة ضمائرهم" (1 تيموثاوس 4: 1). كما حذر المؤمنين شركاء الدعوة السماوية من

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

الارتداد عن الله الحي، وطلب منهم ألا يقسوا قلوبهم، واضعاً أمامهم أن الذين خلصوا من العبودية قديماً قد هلكوا بسبب عدم الإيمان" (عبرانيين 3: 7 – 16). وقال عن بعض الكريتيين إنهم يقرون بأنهم يعرفون الله، ولكنهم بالأعمال ينكرونه، إذ هم رجسون غير طائعين ومن جهة كل عمل صالح مرفوضون (تيطس 1: 16). وقال عن الإنسان المعبر عنه بالوحش إنه "أعطى أن يصنع حرباً مع القديسين ويغلبهم" (رؤيا 13: 7) ولو أمكن سيضل المختارون أيضاً (متى 24: 24)، الأمر الذي يدل على تعرض المؤمنين الحقيقيين للارتداد والهلاك

الرد (أ) إن الناس المذكورين في الآية الأولى، ضمائرهم موسومة أي لا يشعرون بما يرتكبونه من إثم، ولذلك لا يكونون من المؤمنين الحقيقيين لأن هؤلاء تؤنبهم ضمائرهم على أي هفوة تصدر منهم. والمذكورين في الآية الثالثة قال: الوحي عنهم من قبل إنهم متمردون يتكلمون بالباطل ويخدعون العقول السليمة، ولذلك يكونون معلمين كذبة دخلوا خلسة إلى كنيسة الله، ومن ثم لا يكونون أيضاً مؤمنين حقيقيين.

(ب) إن التحذير الوارد في الآية الثانية موجه إلى جميع اليهود الذين قبلوا الدعوة السماوية، وهؤلاء كما مر بنا ينقسمون إلى قسمين: مؤمنين بالحق ومؤمنين بالاسم. والتحذير يوجه إلى الفريق الأول لكي يزداد ثباتاً في الإيمان ويوجه إلى الفريق الثاني لكي لا يكون لهم عذر إذا قسوا قلوبهم وارتدوا عن المسيح، ومن ثم ليس هناك مجال للظن بأن المؤمنين الحقيقيين معرضون للهلاك الأبدي.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

(جـــ) أما من جهة الآيتين الأخيرتين، فإن انتصار الوحش على القديســـين (كما يتضح من الكتاب المقدس) لا يراد به أنه يجذبهم لعبادته والسجود له، بل أنـــه يشتتهم ويقتل الكثيرين منهم كما أن قول الوحي إن المسحاء الكذبـــة ســـيعملون معجزات "حتى يضلوا لو أمكن المختارين أيضاً" يراد به تصوير تأثير معجزاتهم علـــى البشر، وليس إعلان ارتداد المختارين، لأنه إذا ارتد هؤلاء، فمن يبقى بدون ارتداد؟! ومن ثم لا مجال لاتخاذ هذه الآيات دليلاً على جواز ارتداد أو هلاك المؤمنين الحقيقيين.

11- قال الوحي "إذاً من يظن أنه قائم، فلينظر أن لا يسقط" (1 كورنثوس 10: 12)، وإن كنا ننكر المسيح فهو سينكرنا أيضاً (2 تيموثـــاوس 11 و 12). وقال المسيح لملاك كنيسة فلادلفيا "تمسك بما عندك لئلا يأخذ أحد إكليلك" (رؤيا 3: 11). وقال لملاك كنيسة أفسس "فاذكر من أين سقطت وتب واعمـــل الأعمـــال الأولى، وإلا فإني آتيك عن قريب وأزحزح منارتك من مكانها إن لم تتب" (رؤيا 3: 5)، الأمر الذي يدل على جواز تعرض المؤمنين الحقيقيين للهلاك الأبدي.

الرد (أ) إن المؤمنين الذين يفتخرون بحكمتهم وعلمهم (كما يحدث في كنيسة كورنثوس) يتعرضون أكثر من غيرهم للسقوط عند التجربة. أما الذين يضعون أمام أنفسهم ضعفهم الطبيعي ويحيون حياة الصلاة والاتكال على الله كل حـــين، فـــإنهم يحترسون من السقوط. غير أن الكلمة اليونانية للسقوط هنا، وكمـــا يتضـــح مـــن الإصحاح الواردة فيه أيضاً، لا يراد بها الارتداد أو إنكار المسيح، بل الانحراف عـــن حياة التقوى والقداسة. وهذا الانحراف وإن كان شراً لا يليق بـــالمؤمنين الحقيقـــيين

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

ويحول بينهم وبين الشركة مع الله في العالم الحاضر، غير انه لا يؤدي بهم إلى الهلاك الأبدي بفضل كفارة المسيح التي يعتمدون عليها بكل قلوبهم، بل يعرضهم فقط للتأديب المرير في هذا العالم كما ذكرنا فيما سلف.

(ب) إن إنكار أحد للمسيح معناه ارتداده عنه، وجزاؤه الطبيعي أن المسيح ينكره كذلك، فقد قال "من ينكرني قدام الناس أنكره أنا أيضاً قدم ملائكة الله" (لوقا 12: 9)، ومن ينكر المسيح أو يرتد عنه لا يكون ثابتاً فيه من أول الأمر، ومن ثم لا يكون مؤمناً حقيقياً.

ولكن إنكار المسيح كما يكون عن إصرار سابق وتكون عاقبته الهلاك الأبدي، يكون أيضاً عن خوف وضعف، وفي هذه الحالة تتجه نعمة الله الغنية للمؤمن العاثر وتقيمه من عثرته، كما كانت الحال مع بطرس. فقد أنكر المسيح ثلاث مرات. غير أنه عندما ندم وتاب، أعاده المسيح إلى المكانة التي كان يشغلها من قبل. ومع كل فإنه مما يملأ المؤمنين الحقيقيين يقيناً من جهة خلاصهم الأبدي، أن الرسول قال بعد العبارة التي نحن بصددها "يعلم الرب الذين هم الله"، ومن ثم لا يمكن أن يمسهم سوء على الإطلاق، وإذ لهم هذا اليقين فإنهم يحبون الله ويتجنبون كل إثم، على النقيض من المؤمنين بالاسم.

(جـ) إن الإكليل كما ذكرنا فيما سلف ليس هو الحياة الأبدية بل هو المكافأة التي يعطيها الله للأمناء من خدامه، ومن ثم ففقدان الإكليل لا يتبعه فقدان الحياة الأبدية – وهذه الحقيقة لا تدفع طبعاً أي مؤمن حقيقي للإهمال في خدمة الرب،

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

لأن هذا المؤمن يتفانى في خدمته حتى لو لم يكن هناك إكليل ينتظره، إذ أن لسان حلاه في كل حين "أحب الرب لا لكي أربح النعيم، ولا لكي أنجو من عذاب في الجحيم. بل أحبه لأن حبه لي يحلو، وهو الذي من فضله أحبني قبل"

(د) أما المنارة فهي رمز الشهادة للمسيح، وزحزحة المنارة إبعادها عن مركز الشهادة له، وليس حرمان صاحبها من الحياة الأبدية – غير أن هذه الحقيقة لا تساعد احد المؤمنين الحقيقيين على الإهمال في محبة الرب وخدمته، بل بالعكس تدفعه للتفاني في هذه وتلك كما اتضح لنا مما سلف.

أما الخطية التي سقط فيها ملاك كنيسة أفسس وبسببها أنذره المسيح بزحزحة منارته، فهي (كما يتضح من الإصحاح المقتبسة منه هذه الآية) أنه ترك محبته الأولى للرب، وهذه الخطية وإن كانت بسيطة في نظرنا إلا أنها تؤلم قلب الرب المحب غاية الألم، لأنه إذا أعطى الإنسان كل ثروة بيته عوضاً عن المحبة تحتقر احتقاراً.

12- إن بولس الرسول سجل عن ديماس الذي كان يلازمه في خدمة الإنجيل أنه تركه، لأنه أحب العالم الحاضر (2 تيموثاوس 4: 10)، كما أن هناك كثيرين من المؤمنين كانوا يصلون كثيراً ويعظون كثيراً، لكنهم اتجهوا أخيراً إلى العالم وأصبحوا أشر الخطاة، وهذا دليل على أن المؤمنين الحقيقيين قد يرتدون ويهلكون

الرد (أ) إن الكتاب المقدس يوصينا ألا نحكم قبل الوقت (1 كورنثوس 4: 5)، ومع ذلك نقول: إن ديماس وإن كان مؤمناً حقيقياً، لكن نظراً لأنه كان قد عانى مع بولس الرسول مشقات كثيرة في خدمة الإنجيل التجوالية مدة من الزمن، أراد أن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

يحيا في تسالونيكي حياة الاستقرار مع المؤمنين العاديين الذين فيها (2 تيموثاوس 4: 10)، ومن ثم لا يكون قد ارتد عن المسيح وتعرض للهلاك الأبدي، بل مال فقط إلى حياة الراحة والهدوء في العالم الحاضر، مثل معظم المؤمنين. ومما يثبت ذلك أن الرسول لا يقول إن ديماس ترك الرب، بل يقول إنه تركه هو. هذا وقد تصرف بعض رفقاء بولس الرسول تصرفاً يشبه تصرف ديماس، ومع ذلك طلب بولس من الرب ألا يؤاخذهم عنه (2 تيموثاوس 4: 10)، الأمر الذي يدل على أنهم كانوا جميعاً مؤمنين حقيقيين، وكل ما في الأمر أنهم لم يطيقوا احتمال متاعب الخدمة، وأرادوا أن يحيوا حياة هادئة مثل غيرهم من المؤمنين، ولذلك فإنهم وإن كانوا لا يهلكون بفضل كفارة المسيح التي اعتمدوا عليها بكل قلوبهم، غير أنهم يكونون قد حرموا أنفسهم من المكافأة بالأكاليل التي كان من الممكن أن يحصلوا عليها بجانب الحياة الأبدية، كما عرضوا أنفسهم لمتاعب أكثر في العالم الحاضر.

(ب) أما من جهة الأشخاص المذكورين في الحجة التي أمامنا (إن جاز أن تسمى حجة)، فنحن لا نبني إيماننا على ما نشاهده من تصرفات الناس وتطوراتهم التي نراها، بل نبني إيماننا على كلمة الله دون سواها وبما أن هذه الكلمة تعلن لنا بكل وضوح أن المؤمن الحقيقي (في نظر الله وليس في نظرنا) له حياة أبدية ولن يهلك على الإطلاق، وأنه إن فعل خطية، فالله يؤدبه عنها في العالم الحاضر لكي لا يدان في الأبدية، إذاً يجب ألا نشك في الحق الإلهي الخاص بثبات مقام المؤمنين الحقيقيين أمام الله إلى الأبد، كما ذكرنا بالتفصيل في كتاب "طريق الخلاص".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

أما الذين يعتقدون أن لهم حياة أبدية لأنهم يصومون ويصلون ويتصدقون أكثر من غيرهم، فيرفضون هذا الحق، وكأنهم يأبون أن يقفوا أمام الله جنباً إلى جنب بجوار اللص والعشار والسامرية وغيرهم، الذين بسبب إيمانهم الحقيقي بالمسيح تمتعوا بالحياة الأبدية، على الرغم من الخطايا الكثيرة التي اقترفوها. ولكن لو أدرك هؤلاء الأشخاص مقدار فساد الطبيعة العتيقة الكامنة فيهم، والذي يتجلى في ما يصدر منهم من خطايا في الباطن والظاهر، وأدركوا أيضاً أن كل الأعمال الصالحة التي يعملونها لا تستطيع أن تكفر عن خطية واحدة من خطاياهم، بل أن هذه الأعمال تكون في بعض الأحيان بسبب النقائص التي تشوبها، هي في ذاتها خطايا تحتاج إلى غفران الله، لطأطؤا رؤوسهم خجلاً، وشكروا الله الذي جعل الخلاص هبة مجانية من لدنه بواسطة الإيمان الحقيقي بالمسيح.

الاعتراضات والرد عليها

1- إن المؤمنين الحقيقيين وإن كانوا محفوظين في يد الآب ولا يستطيع أحد أن يخطفهم منه (يوحنا 10: 28 – 29) ومختومين بالروح القدس إلى يوم الفداء الذي يمكن أن تتغير فيه أجسادهم إلى شبه المسيح (أفسس 4: 3)، لكن يمكنهم إذا أرادوا، أن ينتزعوا أنفسهم من يد الآب ويعصوا الروح القدس الذي فيهم ومن ثم يتعرضون للهلاك الأبدي، ويكون هلاكهم في هذه الحالة ليس بسبب عجز في الله عن صيانتهم، بل بسبب إرادتهم العاصية المتمردة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

الرد (أ) إذا كان هذا العصيان هو الارتداد عن المسيح، فإنهم يكونون مؤمنين بالاسم، وهؤلاء المؤمنون لا خلاص لهم سواء ظلوا حاملين اسم المسيح على أنفسهم أم ارتدوا عنه. أما إذا كان العصيان المذكور تصرفاً يتعارض مع الكمال، فإنه لا يؤدي بهم إلى الهلاك، إن كانوا مؤمنين حقيقيين، بل يعرضهم فقط للتأديب في الزمن الحاضر. فقد قال الرسول عن المؤمن الذي في ساعة من ساعات الطيش ارتكب خطية الزنا، أن يسلم للشيطان لهلاك الجسد حتى تخلص روحه في يوم الرب يسوع (1 كورنثوس 5: 5)، ولذلك ظل هذا المسكين يذوق الأمرين حتى كاد يبتلع من الحزن المفرط، ولما رأى الرسول أنه قد ندم وتاب، طلب من المؤمنين أن يقبلوه في الشركة التي كانت له معهم من قبل (2 كورنثوس 2: 5 – 11).

(ب) فمحبة الله للمؤمنين الحقيقيين تجعله يضمن لهم الخلاص الأبدي بفضل كفارة المسيح، حتى إذا انحرفت إرادتهم عن طريقه بسبب ما يكمن فيهم من ضعف. ولذلك قال الرسول لهم "انتم الذين بقوة الله محروسون بإيمان لخلاص مستعد أن يعلن في الزمان الأخير لأجلكم" (1 بطرس 1: 5)، ومن ثم فإن عصيان إرادتنا لا يمكن أن يسلبنا من يد الله، لأن محبته أقوى من إرادتنا بما لا يقاس. كما أنه يعرف جهلنا الطبيعي الذي يدفعنا أحياناً إلى الابتعاد عنه، ومن ثم لا يعاملنا حسب أعمالنا بل حسب نعمته الغنية (هوشع 11: 4). والنبي الذي اختبر معاملة الله هذه صرخ مرة قائلاً عنه "يرد نفسي يهديني إلى سبل البر من أجل اسمه" (مزمور 23: 3)، وليس من أجل طاعتي أو توبتي أو أعمالي.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

(جـــ) أخيراً نقول: إن الرسول الذي شبعت نفسه بمحبة الله ورحمته وعنايته هتف مرة قائلاً "فإني متيقن أنه لا موت ولا حياة، ولا ملائكة ولا رؤساء ملائكـــة، ولا قوات ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة، ولا علو ولا عمق ولا خليقة أخرى، تقدر أن تفصلنا عن محبة الله (لنا) في المسيح يسوع ربنا" (رومية 8: 38 – 39) – والمراد بالخليقة الأخرى هنا: الشياطين والأبالسة وأعوان السوء، وليس هذا فحســـب بـــل وأيضاً أجسادنا المتمردة بما فيها من إرادة جامحة عاصية – ومن ثم يجب أن نتشـــجع ونتشدد ونزداد يقيناً وثقة في إلهنا، فإنه لا يمكن أن يتركنا، ولا يمكن أن يدعنا نتركه أيضاً. فنحن أولاده الأعزاء الذين اشتراهم بالدم الكريم، وجعلهم أعضاء جسد المسيح من لحمه وعظامه (أفسس 5: 30) – وجسد المسيح لا يمكن أن يبدو ناقصاً بـــأي حال من الأحوال.

وهذه الثقة لا تفسح المجال أمام المؤمن الحقيقي للتساهل مـــع الشـــر، بـــل بالعكس تقوده للتعبد لله والسجود له، كما تقوده للتفاني في طاعته وعمل مشيئته – فالابن البار لا يمكن أن يستغل محبة أبيه في الإساءة إليه، بل بالعكس إن هذه المحبـــة تكون حافزاً قوياً له لإكرام أبيه بكل وسيلة من الوسائل.

2- جدير بشخص مثل بولس الرسول أن يثق في خلاص المسيح ويقـــول: "لأني عالم بمن آمنت وموقن أنه قادر أن يحفظ وديعتي إلى ذلك اليوم (2 تيموثـــاوس 1: 11)، أما نحن فليس لنا أن نثق مثله، لأننا نرى كثيرين من المؤمنين بعدما بدأوا بالروح، كملوا بالجسد (غلاطية 3: 3). ولذلك لا يمكن أن تكون لنا ثقة في خلاص

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

المسيح لنا، إلا إذا كنا بعيدين عن كل خطية تلومنا عليها ضمائرنا (1 يوحنا 3: 21)، وكنا ثابتين في شخصه كل الثبات (1 يوحنا 2: 28).

الرد (أ) إننا لا ننكر أن بولس الرسول أفضل منا جميعاً دون استثناء، وأن له أكاليل أكثر من أي واحد منا، ولكن نشكر الله لأنه ليس أفضل منا في شيء من جهة الخلاص الأبدي، لأنه لم يتمتع بهذا الخلاص على أساس أعماله بل على أساس إيمانه بالمسيح، وهذا هو نفس الأساس الذي نبني نحن عليه خلاصنا. فقد قال بطرس الرسول لنا "إلى الذين نالوا معنا إيماناً ثميناً مساوياً لنا"، ولماذا كان إيماننا مساوياً لإيمان الرسل أنفسهم؟ يجيب هذا الرسول قائلاً: لأنه "بر إلهنا والمخلص يسوع المسيح" (بطرس 1: 1)، وبر إلهنا هو إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون" (رومية 3: 22)، لأنه لا فرق.

(ب) ولما كان ذلك كذلك، قال الرسول بولس للمؤمنين الحقيقيين جميعاً "فنثق ونسر بالأولى أن نتغرب عن الجسد ونستوطن عند الرب، لأننا نعلم (علم اليقين) أنه إذا نقض بيت خيمتنا الأرضي، فلنا في السماء بناء من الله غير مصنوع بيد، أبدي" (2 كورنثوس 5: 8 و 1)، وقال أيضاً لأنه بالمسيح "لنا كلينا قدوماً في روح واحد إلى الآب" (أفسس 2: 18)، وبه "لنا جراءة وقدوم بإيمانه عن ثقة" (أفسس 3: 13)، ولذلك حرضنا بالقول "فلنتقدم بثقة إلى عرش النعمة لكي ننال رحمة ونجد نعمة عوناً في حينه" (عبرانيين 4: 16). وقال يوحنا الرسول أيضاً لنا "أيها الأحباء: الآن نحن أولاد الله، ولم يظهر بعد ماذا سنكون. ولكن نعلم (علم اليقين) أنه إذا أظهر (المسيح) نكون مثله، لأننا سنراه كما هو" (1 يوحنا 3: 2 – 3).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

(جـــ) إن الذين بالروح وكملوا بالجسد هم الغلاطيون، لأنهم بالإيمان قبلوا الروح القدس، فتقدست قلوبهم وصاروا أولاداً لله مغفورة خطاياهم ومقبولين لديـــه كل القبول في المسيح. ولكنهم في عدم معرفة رجعوا بعد ذلك إلى اليهودية يلتمسون القبول أمام الله بواسطة الناموس والختان الجسدي، الأمر الذي دعا الرسول لمخاطبتهم بالقول "أيها الغلاطيين والأغبياء. من رقاكم حتى لا تذعنوا للحق. أنتم الذين أمـــام عيونكم قد رسم يسوع المسيح بينكم مصلوباً" (غلاطية 3: 1)، كما أنه قال عـــن الذين حرضوهم على العودة إلى اليهودية إنهم كلاب وفعلة الشر وأهل القطـــع، لأن ختانهم ختان جسدي لا روحي (فيلبي 3: 1 – 4)، وأشخاص أمثال هؤلاء يكونون قد تنكروا للمسيح الذي فداهم، ودللوا على أنهم لم يكونوا مؤمنين حقيقيين به.

(د) إن الثقة التي ذكر الرسول في الآية الثالثة أنها تكون لنا لـــدى الله إذا لم تلمنا قلوبنا، هي الثقة في أننا ننال كل ما نسأله منه في الصلاة (1 يوحنـــا 3: 21) وليس أننا لا نحرم من الوجود معه في الأبدية – وطبعاً ليس المراد بذلك أنـــه يمكـــن للمؤمنين الحقيقيين أن يتساهلوا مع الشر طالما أن لهم حياة أبدية ثابتة بفضل كفـــارة المسيح، كلا لأن هؤلاء المؤمنين قد ماتوا للخطية بصليب المسيح ومن ثم لا يمكن أن يعيشوا فيها بعد الإيمان.

(هـــ) أما عن الآية الثانية الخاصة بالثقة، فهي "الآن أيها الأولاد: اثبتوا (أنتم) فيه، حتى إذا أظهر يكون لنا (نحن) ثقة ولا نخجل (نحن) منه في مجيئه" – ومعنى هذه الآية أن المؤمنين الحقيقيين يجب أن يعيشوا ثابتين في المسيح، ليس لكـــي يتمتعـــوا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

بالخلاص، بل لأنهم تمتعوا به وأصبحوا أولاداً لله وأخوة للمسيح. والغرض من ثباتهم فيه أن يستمدوا منه الحياة الروحية التي تقدرهم على الإتيان بالثمر الذي يمجده. فضلاً عن ذلك، فإن هذا الثبات (كما يتضح من الآية التي نحن بصددها) يرفع رؤوس خدام الإنجيل الذين بشرورهم واعتنوا بهم فلا يخجلون عند ظهور المسيح، كما لو كانوا قد تعبوا باطلاً. وقد قصد الرسول بهذه العبارة أن يمس قلوب المؤمنين، حتى يثابروا على الثبات في المسيح. وهذا هو ما ذهب إليه بولس الرسول أيضاً، فقد قال للمؤمنين "إذاً يا إخوتي الأحباء والمشتاق إليهم، يا سروري وإكليلي: اثبتوا هكذا في الرب أيها الأحباء" (فيلبي 4: 1)، "متمسكين بكلمة الحياة لافتخاري في يوم المسيح بأني لم أسع باطلاً ولا تعبت باطلاً" (فيلبي 2: 16).

والخجل الذي أشار إليه يوحنا الرسول هنا هو خجل وقتي وليس خجلاً يدوم إلى الأبد. فهو سيكون فقط عندما يقوم الرب بتوزيع الأكاليل. ومع كلٍ فالمؤمنون الذي يتهاونون في سلوكهم، سوف يخجلون أيضاً عندما يرون أنهم لم يفوزوا بشيء من الأكاليل، بينما فاز آخرون بالكثير منها.

3- إن الرسول بعدما قال "لنا ثقة بالدخول إلى الأقداس"، قال لنتمسك بإقرار الرجاء، ولنلاحظ بعضنا بعضاً للتحريض على المحبة والأعمال الحسنة" (عبرانيين 10: 24). وبعدما قال "لا تطرحوا ثقتكم التي لها مجازاة عظيمة"، قال "لأنكم تحتاجون إلى الصبر، حتى إذا صنعتم مشيئة الله تنالون الموعد" (عبرانيين 10: 35 – 26). وبعدما قال عن الله "الذي بدأ فيكم عملاً صالحاً يكمل إلى يوم يسوع

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

المسيح"، قال "عيشوا كما يحق لإنجيل المسيح" (فيلبي 1، 27) – وقيامنا بهذه الأعمال يستغرق العمر كله، ومن ثم لا يكون هناك مجال للثقة في الخلاص في الوقت الحاضر، إذ ربما نقصر في شيء من الأعمال المذكورة في أواخر أيامنا، فنهلك إلى الأبد.

الرد: ذكرنا فيما سلف أن الامتياز والمسؤولية صنوان لا يفترقان. ولذلك فمن يريد التمتع بالامتياز دون القيام بالمسؤولية، لا يكون مؤمناً حقيقياً، ومن ثم نكتفي بالقول.

(أ) إن الثقة التي لنا بالدخول إلى الأقداس بناء على كفارة المسيح، من شأنها أن تدعونا للتمسك بالرجاء الموضوع أمامنا، وهذا الرجاء هو رجوع مخلصنا إلينا ليغير شكل جسد تواضعنا حتى يكون على صورة جسد مجده لأننا إذا كنا نؤمن أنه جاء، فإننا نرجو أيضاً أنه سيجيء. ورجاؤنا في مجيئه من شأنه أن يحول أنظارنا إلى السماء، ويدعونا للإكثار من الأعمال الصالحة، وإظهار المحبة لكل الناس.

(ب) إن صنع مشيئة الله يراد به هنا (كما يتضح من الرسالة إلى العبرانيين) رفض الناموس والطقوس والإيمان الحقيقي بالمسيح. أما كلمة "الموعد" فيراد بها في الكتاب المقدس أمور كثيرة حسب القرائن الخاصة بها. فموعد الآب المذكور في (لوقا 24: 49 وأعمال 1: 4) يراد به موعد الروح القدس. والموعد الوارد في (1 تيموثاوس 4: 8) يراد به موعد الحياة السعيدة في الأرض والسماء. والموعد في الآية التي نحن بصددها يراد به التمتع بالمجد السماوي، لأن هذا المجد هو النتيجة الملازمة للإيمان الحقيقي.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

(جـــ) أما من جهة الآية الثالثة فهي إعلان صريح عن نعمة الله التي لا حد لها من نحونا، فالله الذي بدأ فينا بالعمل الصالح، لا يمكن أن يتركنا في منتصف الطريـــق لإرادتنا وأهوائنا أو للتجارب المحيطة بنا، بل لا بد أن يكمل العمل الروحي الذي بدأ به فينا، وأن يكمله إلى يوم يسوع المسيح (فيلبي 1: 6)، لأنه وحده هو العامل فينا أن نريد وأن نفعل من أجل المسرة" (فيلبي 2: 13)، وقد أشار الوحي إلى هذه الحقيقة في مواضع أخرى فقال للمؤمنين "إله السلام نفسه يقدسكم بالتمام، ولتحفظ روحكـــم ونفسكم وجسدكم كاملة بلا لوم عند مجيء ربنا يسوع المسيح" (2 تسالونيكي 5: 23). و "أمين هو الرب الذي سيثبتكم ويحفظكم من الشرير" (2 تســـالونيكي 3: 13). وإن الله "سيحضركم قديسين وبلا لوم ولا شكوى أمامـــه" (كولوســـي 1: 21). و "يكملكم في كل عمل صالح، لتصنعوا مشيئته عاملاً فيكم ما يرضى أمامه بيسوع المسيح" (عبرانيين 13: 21) ... و "إله كل نعمة .... يكملكم ويثبـــتكم ويقويكم ويمكنكم .... ويحفظكم غير عاثرين ويوقفكم أمام مجده بـــلا عيـــب في الابتهاج" (1 بطرس 15: 10، يهوذا – 24).

(د) وهذا الإحسان العظيم من جانب إلهنا يدفعنا للسلوك كما يحق للإنجيل بكل تقوى وقداسة. لكن إظهار المحبة لكل الناس، والقيام بكل عمل صالح، وتنفيـــذ مشيئة الله في حياتنا، وإن كانت أعمالاً جليلة، لكن ليست هي الأساس الذي نـــبني عليه ثقتنا في الخلاص، إذ أننا نبني هذه الثقة على كفارة المسيح دون ســـواها كمـــا ذكرنا.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

4- إن الخلاص لا يمكن أن يتم في يوم أو أيام، بل يستغرق الحياة بأسرها، لأنه يتطلب منا أن نحفظ أنفسنا في حالة الموت. فقد قال الرسول "احسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية" (رومية 6: 11 – 12). ولذلك إذا استيقظت فينا شهوة ما، نكون عرضة لفقدان الخلاص. فقد قال الرسول "إن سلكتم حسب الجسد فستموتون. ولكن إن كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد فستحيون" (رومية 8: 6)، ومن ثم لا يمكن أن نعرف أننا خلصنا أم لم نخلص، إلا بعد انتقالنا من العالم الحاضر.

الرد (أ) إن الخلاص من دينونة الخطية ليس مكافأة عن جهادنا ضدها، بل هو موهبة مجانية من الله على أساس الإيمان الحقيقي بالمسيح. ونظراً لأن المسيح احتمل دينونة الخطية بأسرها على الصليب، لذلك لنا أن نتمتع بالخلاص منها في الوقت الحاضر بمجرد أن نؤمن به إيماناً حقيقياً. فقد قال المسيح بفمه الكريم "هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له (الآن) حياة أبدية" (يوحنا 3: 16).

والخلاص من سلطة الخطية يتم أيضاً في اللحظة التي نؤمن فيها إيماناً حقيقياً، إذ بهذا الإيمان يسكن فينا الروح القدس الذي يجعلنا شركاء لله في طبيعته الأدبية (2 بطرس 1: 2)، غير أنه لبقاء الطبيعة العتيقة فينا بعد الإيمان، نتعرض لمهاجمة الخطية لنا من الداخل ومن الخارج من وقت لآخر. ولكن بعمل الرب القدس فينا واستجابتنا له استجابة كاملة، نستطيع أن ننتصر على الخطية انتصاراً تاماً. وهذا الانتصار وإن كانت له قيمته في نظر الله، لكن ليس هو الذي يؤهلنا للحياة الأبدية (لأن الذي يؤهلنا لها

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

هو كفارة المسيح، بل يؤهلنا فقط لخدمة الرب في العالم الحاضر، والحصول على إكليل منه في العالم الآخر.

(ب) إن إماتة الشهوات (أو اعتبار أنفسنا أمواتاً عنها)، هو من أهم التدريبات التي يجب علينا القيام بها، لكننا لا نفعل ذلك لكي نخلص من الدينونة، بل لأننا خلصنا منها وسكن الروح القدس فينا، إذ أنه لا يستطيع إنسان ما أن يميت أهواءه إن لم يكن قد خلص وسكن الروح القدس فيه، لأنه بطبيعته يميل إليها، والأشياء التي يميل إليها الإنسان لا يستطيع أن يحاربها، ومن ثم تكون محاربته لها محاربة فاشلة.

(جـ) إن السلوك حسب الجسد (أو بالحري العيشة باستمرار في أهوائه) لا يتفق مطلقاً مع حياة المؤمنين الحقيقيين، لأن ناموس روح الحياة الذي حل فيهم يعتقهم من ناموس الخطية والموت (رومية 8: 2)، ولذلك فإنهم إذا سقطوا في الخطية مرة، يتألمون لسقوطهم فيها ويعترفون بها بتذلل أمام الله ليستأنفوا علاقتهم الروحية معه، هذه العلاقة التي لا يستطيعون أن يعيشوا بدونها على الإطلاق.

5- إن الرسول يأمرنا قائلاً "جربوا أنفسكم: هل أنتم في الإيمان" (2 كورنثوس 13: 5)، وهذا دليل على أن الإنسان يجب أن يمتحن نفسه من وقت لآخر، لكي يرى سواء أكان مؤمناً بالاسم أم مؤمناً حقيقياً. وإذا كان ذلك كذلك، فليس هناك مؤمن يستطيع أن يثق الآن أنه نال الخلاص، إذ من المحتمل جداً أن يتبين في آخر حياته أنه مؤمن بالاسم، ومن ثم يهلك إلى الأبد.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

الرد (أ) لكي نعرف المراد بهذه الآية، يجب أن ندرسها مع الآيات السابقة لها. فقد قال الرسول من قبل للكورنثوسيين "إذا أنتم (أو بما أنتم) تطلبون برهان المسيح المتكلم في .... جربوا أنفسكم: هل أنتم في الإيمان" ــ ومن ثم فإن العبارة الأخيرة هي جواب للأولى وبناء على ذلك فهو لا يأمرهم أن يتحققوا من أنهم مؤمنون أو غير مؤمنين، بل يوجه أنظارهم إلى أنهم إذا أرادوا البرهان على صدق رسوليته، فعليهم أن يفحصوا أنفسهم ليروا إن كان ينقصهم شيء من البركات الروحية عن غيرهم من المؤمنين في الكنائس الأخرى. فإن وجدوا أنه لا ينقصهم شيء من هذه البركات، لا يكون هناك داع لاتهامهم إياه بعدم صدق رسوليته (انظر: 1 كورنثوس 9: 1 – 2، 2 كورنثوس 13: 1 – 13).

(ب) كما أن القول بأنه يجب أن نفحص أنفسنا من وقت لآخر، لنعرف سواء أكنا حصلنا على الخلاص أم لم نحصل بعد، لا أساس له في هذه الآية ولا في أية آية أخرى في الكتاب المقدس، لأننا كمؤمنين حقيقيين متأكدون الآن من خلاصنا الأبدي كل التأكد، بناءً على كفارة المسيح كما أعلن لنا الوحي. أما من يحاول القيام بهذا الفحص منا فكأنه يريد البحث عن البر في ذاته وليس في المسيح، وهذا التصرف نتيجة الفشل إذا رأى خطاياه (لأن الطبيعة العتيقة لا تزال تكمن فيه بعد الإيمان، وستبقى فيه أيضاً حتى انتقاله من العالم الحاضر)، أو الغرور إذا رأى شيئاً من أعماله التي يدعوها الصالحة. ولكن إذا ثبت نظره في المسيح، فإنه بالإضافة إلى أنه يتيقن من

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

خلاصه الأبدي فإنه (دون أن يدري أو يعتريه شيء من الغرور)، يتغير من مجد إلى مجد كما من الرب الروح (2 كورنثوس 3: 18)

(جـــ) وإننا بقولنا هذا لا نغض النظر عن وجوب فحصنا لأنفسنا في نـــور كلمة الله من وقت لآخر، لكي نعرف إلى أي حد نحن نطيع الله ونكرمه، ولكننا لا نقوم بهذا الفحص لنرى إذا كنا قد خلصنا أم لا، بل نقوم به بوصفنا قـــد خلصـــنا وأصبحنا أولاداً لله، إذ من شان أولاد الله أن يكرموه في كل صـــغيرة وكـــبيرة في حياتهم.

ومما يؤيد صدق التفسير الذي ذكرناه، أننا إذا رجعنا إلى الرسالتين اللـــتين كتبهما الرسول إلى الكورنثوسيين، لا نجد أنهم كانوا يوماً في شك من جهة إيمانهم، أو أن الرسول كان في شك من جهته، بل بالعكس نجد علامات الإيمان ظاهرة لهم وله بكل وضوح وجلاء (1 كورنثوس 1: 4 – 9).

6- إن الثقة في الخلاص بالمسيح لا حد لها. ولكن لا يمكن أن تكون لنـــا شخصياً الثقة في الحصول على هذا الخلاص، لأننا نخطئ كل يوم وأجرة الخطية هي موت، ومن ثم فنحن نتعرض للموت في كل يوم، وبالتبعية نحتاج إلى خلاص كل يوم. فيجب إذاً أن نتواضع ولا يقول أحدنا أنه تمتع بالخلاص الأبدي طالما هو يعـــيش في العالم الحاضر.

الرد: إن قلوبنا لتنفطر حزناً على صاحب هذا الاعتراض، فهو بلا شك يريد الخلاص، ولكنه يريد خلاصاً بذاته وليس بالمسيح. أما ثقته في المسيح التي يقول عنها

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

فهي ثقة عقلية لا قلبية، لأنها لو كانت قلبية لاستراح واطمأن على خلاص المسيح له، وقبله منه هبة مجانية كما طلب الوحي منا. وإن كان ما سلف ذكره فيه الكفاية للرد على اعتراضه، لكن للفائدة العامة نقول:

(أ) حقاً إننا في أنفسنا من جهة القدرة على الخلاص من دينونة الخطية وسلطتها بقوتنا الذاتية، وعدم ثقتنا هذه هي التي تدعنا نثق في المسيح كل الثقة ونعتمد عليه كل الاعتماد كما طلب الوحي منا – وهذا هو الإيمان. أما إذا كنا نقول إننا نثق في المسيح من جهة خلاص نفوسنا، وفي الوقت نفسه نعتمد على سلوكنا من نحوه، نكون قد تحولنا من المسيح إلى أنفسنا، وتكون ثقتنا فيه ثقة جوفاء ... ويكون مثلنا مثل بطرس الذي بمجرد أن تحول عن المسيح ونظر إلى ذاته أخذ في الغرق (متى 14: 30).

(ب) إن جعل الثقة في الخلاص الأبدي متوقفة على السلوك بالكمال، يؤدي إلى هلاك جميع الناس بما فيهم الرسل والأنبياء، لأنه يعود بهم للاجتهاد للتبرر بالناموس الذي لم يتبرر به أحد، وتصرف مثل هذا إنكار صريح لكفاية كفارة المسيح، ومن ثم يكون الإيمان به في هذه الحالة هو فقط من باب الإعجاب به دون الإفادة منه، ويكون مثلنا مثل الأرملة الجاهلة التي تلقت شيكاً بمبلغ كبير من المال من هيئة خيرية، ولكن عوضاً عن أن تصرفه من البنك وتشتري ما يلزمها من طعام وكساء، وضعته في إطار جميل وعلقته على أحد جدران منزلها معجبة وفخورة به!!

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

(جـــ) إن المؤمن الحقيقي لا يخطئ كل يوم لأنه مولود من الله، وكل مولود من الله لا يخطئ بل يحفظ نفسه والشرير لا يمسه (1 يوحنا 5: 18)، وإن تصادف وأخطأ، فإن ما يفقده ليس خلاص نفسه بل فقط بهجة خلاصها، وهذا هو ما شعر به داود قديماً، فلم يقل لله رد لي خلاصك، بل قال له "رد لي بهجة خلاصك" (مزمور 51: 12) أما من يخطئ كل يوم يكون مؤمناً بالاسم مهما كان مركزه الـــديني في العالم، ومن ثم يجب أن يؤمن بالمسيح أولاً إيماناً حقيقياً حتى ينال منه حياة روحيـــة تسمو به فوق الخطية والعالم.

ولو فرضنا أنه كان مؤمناً حقيقياً فإن الخلاص الذي يحتاج إليه، ليس هـــو الخلاص من دينونة الخطية، بل الخلاص من تأثيرها على نفسه، وقد تحدثنا فيما سلف عن هذين النوعين من الخلاص كما تحدثنا عن السبيل إلى كل منهما.

(د) ولإزالة كل لبس من أمام المعترض نقول: كان في الجلجثة ثلاثة أشخاص يختلف أحدهم عن الآخر كل الاختلاف. فالمسيح كانت الخطية عليه وليست فيـــه، لأنه وإن كان طاهراً في ذاته كل الطهر، غير أنه كان حاملاً خطايانا عوضاً عنـــه. واللص المؤمن كانت الخطية فيه وليست عليه، لأنه وإن كان خاطئاً بطبيعته لكـــن عقوبة خطاياه قد حملها المسيح نيابة عنه. واللص غير المؤمن كانت الخطية فيه وعليه معاً، لأنه خاطئ بطبيعته ومع ذلك رفض أن يؤمن بالمسيح، فإذا كان المعترض مثـــل اللص الثاني فليحزن ويكتئب لأنه لا خلاص له إلى الأبد مهما عمل من صلاح، وإذا كان مثل اللص الأول فليفرح ويبتهج، لأنه يكون قد نال الخلاص بمجرد إيمانه.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

(هـــ) أخيراً نقول: إن تأكدنا من الخلاص الأبدي لا يتوقف على شعورنا أو منطقنا أو أعمالنا، بل على كفارة المسيح دون سواها. فما دمنا آمنا به إيماناً حقيقياً، فقد خلصنا بالتمام كما أعلن الوحي. وثقتنا في خلاصنا بالمسيح إلى التمام، لا تبعث طبعاً أي شيء من الكبرياء فينا، بل بالعكس تملؤنا بالتواضع والخشوع، لأننا نكون قد حصلنا على هذا الخلاص من مجرد نعمة الله علينا. أما الذي يثير الكبرياء في المرء دون أن يدري، فهو اعتقاده الخاطئ أنه يستطيع أن يحصل على الخلاص بأصوامه وأعماله التي يدعوها الصالحة. ومن ثم يكون الذين يخلصون بنعمة الله مثل العشار، والـــذين يريدون أن يخلصوا بأعمالهم مثل الفريسي الذي لم يخلص على الإطلاق (لوقـــا 18: 10 – 14)، عرفوا هذه الحقيقة أم لم يعرفوها.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

5
تاريخ الاعتقاد بأن الخلاص يكون بالإيمان والأعمال[1]

إذا كان الكتاب المقدس يعلن في كل جزء من أجزائه أن الخلاص من الخطية يكون فقط بواسطة الإيمان الحقيقي، بفضل كفارة المسيح الدائمة الأثر، فكيف وصل إلينا الاعتقاد بأن هذا الخلاص يكون بواسطة الإيمان والأعمال معاً؟ هذا هو السؤال الأخير الذي يخطر ببال القراء بعد دراسة الفصول السابقة، وللرد عليه نقول:

1- إذا رجعنا إلى العصر الرسولي نجد أن بعض اليهود المتنصرين كانوا يحرضون المسيحيين من الأمم على أن يختتنوا ويحفظوا ناموس موسى، بجانب الإيمان بالمسيح، بدعوى أنه لا خلاص لهم بالإيمان به فحسب (أعمال 15: 1 – 21، غلاطية 3: 2)، فقاومهم بولس الرسول بكل شدة قائلاً لهم "أيها الأغبياء .... أبأعمال الناموس أخذتم الروح، أم بخبر الإيمان .... أهكذا أنتم أغبياء؟! لأن جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة ... إن أختتنتم لا ينفعكم المسيح شيئاً. تبطلتم عن المسيح أيها الذين تتبررون بالناموس، سقطتم من النعمة. فمن صدكم حتى لا تطاعوا للحق؟!" (غلاطية 3: 1 – 10، 5: - 7).

2- وإن كانت بدعة (الخلاص بواسطة حفظ الناموس والإيمان بالمسيح معاً)، قد اختفت في العصر الرسولي، غير أن جذورها ظلت كامنة في نفوس معظم اليهود

[1] – عن تاريخ الكنيسة (لموسهيم)، تاريخ الاصلاح (لدوبنييه)، واللاهوت النظري (للأب يوحنا خوري)، واللاهوت النظري (لالياس الجميل)، ومختصر المقالات اللاهوتية (للأب بيروني).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

المنتصرين ردحاً طويلاً من الزمن، ولذلك أخذت تظهر من وقت إلى آخر بصور متعددة. ففي القرن الثاني ظهرت جماعة الأبيونيين التي اتخذت لها ديناً مزيجاً من اليهودية والمسيحية، ونادت فيما نادت به من بدع بأنه لا خلاص إلا بالختان وممارسة الطقوس اليهودية، وتقديس يومي السبت والأحد معاً، مع الامتناع عن أكل لحم الحيوان بتاتاً. وأخطر ما نادت به من بدع أن المسيح ولد ولادة طبيعية لا معجزية، وتبعاً لذلك يكون إنساناً عادياً، وتكون كفارته غير كافية للخلاص، ويجب إضافة حفظ الناموس إليها، للحصول على هذا الخلاص.

3- وفي القرن الخامس نادى رجل من رجال الدين البريطانيين يدعى بيلاجيوس بأن الإنسان يولد طاهراً لا أثر للخطية في نفسه على الإطلاق، فتجاهل قول النبي "بالإثم صورت وبالخطية حبلت بي أمي" (مزمور 51: 7). كما نادى بأن الشر لا يكون شراً إلا بالفعل فقط، وهكذا الحال من جهة الخير، فقد قال إنه لا وجود له إلا في الأعمال الصالحة التي يقوم بها الإنسان – وبناء على رأيه لا تكون الأهواء الشريرة التي تجول في النفس خطايا، ولا تكون التقوى والأمانة والقداسة والشركة الروحية مع الله، أموراً هامة؛ ويكون الخلاص (حسب رأيه) هو فقط بواسطة الصدقة والأعمال التي تسمى الصالحة.

فتجاهل بيلاجيوس بذلك قول الوحي "فكر الحماقة خطية" (أمثال 34: 9)، و "من نظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه" (متى 5: 28)، كما تجاهل قوله "تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك" (متى 22: 37)،

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

وقوله "نظير القدوس الذي دعاكم كونوا أنتم أيضاً قديسين في كل سيرة" (1 بطرس 1: 14)، كما تجاهل قول الوحي "من قال يا أحمق يستوجب نار جهنم" (متى 5: 22)، لأن الخطية مهما كانت صغيرة في نظرنا هي إساءة إلى الله الذي لا حد لعظمته، ولا خلاص من عقوبتها بشيء من الأعمال الصالحة كما ذكرنا.

4- غير أن رأي بيلاجيوس هذا لم يستمر طويلاً بين أتباعه، فخلطوا في القرن السادس بينه وبين تعليم القديس أوغسطينوس، وكان هذا يعتقد بناء على كلمة الله [أن الإنسان مولود بالخطية وعاجز من تلقاء ذاته عن عمل الصلاح الذي يتوافق مع كمال الله، ولذلك فإن خلاصه من قصاص الخطية لا يكون إلا بالإيمان الحقيقي بكفارة المسيح، وأن تأهيله لعمل الصلاح لا يكون إلا بعمل الروح القدس في نفسه]، ولذلك قال أتباع بيلاجيوس إن خطية آدم أثرت في البشر جميعاً، وإنها وإن لم تسلبهم القدرة على عمل وصايا الله غير أنها جعلتهم عاجزين عن إتمام هذه الوصايا، دون معونة منه. كما قالوا إن عجز البشر هذا، وإن كان لا يحسب عليهم خطية بل مجرد تعطيل، إلا أنه هو السبب الذي يجعلهم يسقطون في الخطية من وقت لآخر.

ولذلك فإن الخلاص (حسب رأيهم) يبدأ بارتقاء الإنسان فوق العجز الكامن في نفسه، ثم قيام الله بتقديم المساعدة اللازمة له بعد ذلك، وبناء عله يكون نصف الخلاص محسوباً للإنسان والنصف الآخر محسوباً لله، لأن الإنسان (حسب زعمهم) يشارك الله في عمل الخلاص، ظناً منهم أن هذا الخلاص هو الامتناع عن الخطايا (أو بالحري الخطايا الظاهرة وحدها)، وليس هو الخلاص من القصاص الأبدي، والحصول

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

على طبيعة روحية تسمو بالمرء فوق كل فكر شرير وتؤهله للتوافق مع الله في صفاته السامية، كما يعلن الكتاب المقدس. وبذلك وضعوا بذرة الاعتقاد بأنه الخلاص (أو بالحري الخلاص الذي اصطلحوا عليه)، يكون بواسطة الإيمان والأعمال معاً، متجاهلين قول الرسول "فإني أعلم أنه ليس ساكن في أي جسد شيء صالح، لأن الإرادة حاضرة عندي، وأما أن أفعل الحسنى فلست أجد. لأني لست أفعل الصالح الذي أريده بل الشر الذي لست أريده إياه أفعل" (رومية 7: 18 – 21) الأمر الذي يدل على أن الإنسان بطبيعته ميت بالذنوب والآثام (أفسس 2: 1)، ومن ثم لا يستطيع أن يكون شريكاً لله في عمل للخلاص بحال.

5- وفي القرن العاشر أصدرت الكنيسة الكاثوليكية صكوك الغفران بناء على قرار مجلس راتس سنة 924 م ، فأقبل معظم الكاثوليك على شرائها، حتى يتمتعوا (حسب اعتقادهم) بالحياة الأبدية، وهكذا أصبحت هذه الحياة تشترى بالمال[1]، بغض النظر عن كفارة المسيح أو الحالة الروحية للذين يبتاعون هذه الصكوك.

ولما قامت الحروب الصليبية سنة 1095 أصدر البابا أوربان الثاني غفراناً شاملاً لكل الذين يخرجون إلى هذه الحروب بدافع الرغبة في خدمة المسيحية[2]، وبذلك

[1] – مما تجدر الإشارة إليه، أن المال الذي كان يجمع من صكوك الغفران كان ينفق في أول الأمر في الأعمال الخيرية، ولكن رجال الدين أخذوا يستولون عليه بعد ذلك لأنفسهم.

[2] – هذا مع العلم بأن الحروب المذكورة لا تتفق مع حق الله على الإطلاق، لأن "الله محبة"، والمحبة لا تقتل ولا تسلب بل تتأنى وترفق، ولا تطلب ما لنفسها بل ما هو لغيرها (1 كورنثوس 13: 4 – 6). فضلاً عن ذلك فإن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

ضمن الحياة الأبدية (حسب زعمه) لكل العاملين في الحروب المذكورة بغض النظر عن حياتهم الروحية وعن كفارة المسيح أيضاً.

6- وفي القرن الثاني عشر عقد رجال الدين الكاثوليك عدة مجامع لبحث موضوع التبرير أمام الله، فاستقر رأيهم على أن الإنسان بالإضافة إلى تبرره شرعاً أمام الله بكفارة المسيح، يتبرر فعلاً أمامه بالأعمال الصالحة التي يقوم بها في العالم الحاضر. وهذه الأعمال (كما يقولون) ليست فقط هي الصوم والصلاة والصدقة، بل إنها أيضاً ممارسة الطقوس الدينية وتنفيذ التأديبات الكنسية التي يفرضها رجال الدين المذكورين. وبذلك غضوا النظر عن حالة التوافق مع الله التي لا تتأتى إلا بعمل الروح القدس في النفس، ووضعوا مكانها التأديبات والطقوس التي لا تخرج عن كونها أعمالاً آلية، لا أثر لها في الارتقاء بالنفس إلى الحالة المذكورة. كما خلطوا بين البر الشرعي أو الاكتسابي الذي يمنحه الله لنا مجاناً على أساس كفارة المسيح، وبه يكون لنا القبول الأبدي أمامه، وبين البر العملي الذي نقوم به في العالم الحاضر لتمجيد الله وإكرامه، والذي يعطينا الله عنه جزاء خاصاً، بالإضافة إلى القبول الأبدي السابق ذكره.

ثم ذهبوا إلى أبعد من ذلك، فقالوا إن بعض المؤمنين يستطيعون القيام بأعمال صالحة تزيد عن حاجتهم للخلاص، وفي هذه الحالة يمكن للكنيسة الكاثوليكية بما لها من السلطان، أن تقوم بتوزيع ما زاد من هذه الأعمال على الأشخاص الذين لم يقوموا

الدفاع عن الدين أو العمل على نشره لا يكون بالأساليب الروحية: مثل الصوم والصلاة، والتصرف بالقداسة والأمانة في كل شيء.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

بالقدر الكافي منها، حتى يحسب الله لهؤلاء الأشخاص قيمة الأعمال المذكورة في خلاص نفوسهم. وذلك على النسق الذي يحسب به الله للمؤمنين عامة بر المسيح، مع أنهم في ذواتهم أثمة لا بر لهم على الإطلاق – ولعل القول "بركات القديسين تكون معنا آمين" الذي يردده كثير من الناس في أدعيتهم وصلواتهم، يرجع إلى تعليم الكاثوليك السابق ذكره.

لكن الحقيقة الإلهية هي أن الإنسان مهما عمل من صلاح، لا يستطيع أن يكفر عن خطية واحدة من خطاياه، أو يجعل نفسه أهلاً للتوافق مع الله، كما أن الحياة الأبدية ليست أجرة عن عمل صالح، بل هي هبة شخصية من الله لكل من يؤمن إيماناً حقيقياً (رومية 6: 23). ولذلك فإن من يحصل عليها لا يستطيع أن يعطيها لغيره، أو يشركه معه فيها. وقول العذارى الحكيمات للجاهلات "لعله لا يكفي لنا ولكن" (عن الزيت الذي كان دليلاً على أن الحكيمات كان لهن امتياز التمتع بالحياة الأبدية، كما ذكرنا بالتفصيل في الفصل الثاني) خير شاهد على هذه الحقيقة.

7- وفي القرن السادس عشر، أعلن لوثر أن التبرير أمام الله هو فقط بالإيمان الحقيقي بالمسيح، كما أعلن أنه ليست هناك شريعة تفرض على المؤمنين الحقيقيين أن يقوموا بأعمال صالحة معينة، لأنهم يقومون بكل الأعمال الصالحة بتأثير الروح القدس الساكن فيهم. لكن خشية أن يستغل سامعوه قوله هذا في إهمال شيء من هذه الأعمال (بدعوى عدم إرشاد الروح القدس لهم في القيام بها)، كان يحثهم على السلوك بالتقوى والقداسة لكي يمجدوا الله بسبب تبريره لهم بدم المسيح. فضلاً عن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

ذلك فقد سن قانوناً للوعاظ والرعاة يحتم عليهم تنفيذ وصايا الله بكل دقة في حياتهم السرية والعلنية.

8- وحينئذ نهض رجل يدعى أجريكولا، ورمى لوثر بالخروج عن تعليم التبرير بالإيمان، وأعلن أن المؤمنين جميعاً ليسوا تحت التزام أن يحفظوا آية وصايا، كما أعلن أنهم حتى إذا عاشوا كل حياتهم في الشر والدنس لا يمكن أن يهلك واحد منهم على الإطلاق، ويعرف رأيه هذا بـ "الانتينومانية" Antinomianism أي "المقاومة للناموس"، فتجاهل أجريكولا بذلك قول الرسول "وليتجنب الإثم كل من يسمى اسم المسيح" (2 تيموثاوس 2: 19)، وقوله "نحن الذين متنا عن الخطية، كيف نعيش بعد فيها" (رومية 6: 2)، وقوله "لأننا نحن عمله (أي عمل الله) مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة، قد سبق الله فأعدها لكي نسلك فيها" (أفسس 2: 10)، وقوله عن المسيح "الذي بذل نفسه لأجلنا لكي يفدينا من كل إثم ويطهر لنفسه شعباً خاصاً غيوراً في أعمال حسنة" (تيطس 2: 4). كما تجاهل أن الإيمان قد يكون بالحق وقد يكون بالاسم، وأن النوع الأول من الإيمان هو الذي يخلص بواسطته المؤمنون من دينونة الخطية، وينالون طبيعة روحية جديدة تؤهلهم للتوافق مع الله في صفاته السامية. أما النوع الثاني من الإيمان فلا قيمة له على الإطلاق، لأنه لا يخلص من الدينونة ولا يحرر من الخطية، ومن ثم يظل أصحابه معرضين للدينونة ومستعبدين للخطية.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

ولذلك حدث نزاع كبير بين لوثر وبين أجريكولا استمر عـــامي 1539 و 1540، قاومه فيهما لوثر بكل شدة حتى قضى على بدعته إلى حد كبير[1].

9- فأراد بعض رجال الدين بعد ذلك أن يوفقوا بين لوثر وأجريكولا، فقالوا إن الخلاص لا يكون بالإيمان فقط، بل يكون بالإيمان والأعمال معاً، غير عالمين أنهم بقولهم هذا قد جعلوا كفارة المسيح غير كافية للخلاص، وأن الأعمال (التي يسمونها الصالحة والتي كثيراً ما تشوبها النقائص والرذائل) هي التي تكمل هذه الكفارة. وغير عالمين كذلك أن هذه الأعمال مهما بلغت أسمى درجات الكمال ليست فضلاً مـــن الإنسان حتى يجوز أن تكفر عن خطية من خطاياه، بل أنها واجب إن قصر في أدائـــه يكون خاطئاً، وبذلك انحرفوا هم أيضاً عن كلمة الله.

10- فلكي نعود بالحق إلى نصابه، حتى لا يلتبس فهم "السبيل إلى الخلاص" على إنسان ما، نقول: إن الوحي أعلن بعبارة واضحة لا تقبل تأويلاً ما، أن الخلاص يكون بالإيمان العامل بالمحبة (غلاطية 5: 6)، أي ليس بالإيمان وأعمال المحبة كوسيلتين

[1] – مما تجدر الإشارة إليه هي هذه المناسبة أن موضوع الإيمان والأعمال لم يشغل عقول المسيحيين فحســـب، بل شغل أيضاً عقول المسلمين. فبينما قالت فرقة المرجئة إن الإيمان هو التصديق بالقلب ولا عبرة بالأعمـــال، وقالت غيرها إن الإيمان هو التصديق بالقلب والإقرار باللسان، قالت المعتزلة إن الإيمان هو التصـــديق وهـــو الصوم والصلاة والصدقة كذلك. وبينما كانت المرجئة تقول إن مرتكب الكبائر لا يخلد في النار إن كان مؤمناً، لأنه لا يخلد فيها إلا الكافر، وقالت غيرها إن من عمل الكبائر يعاقب عليها ثم يثاب على إيمانه، قالت المعتزلة إن صاحب الكبائر لا يجوز أن يغفر الله له، وبذلك فإنه يخلد في النار (تحفة المزيد علـــى جـــوهرة التوحيـــد، وحاشية البيجوري على متن السنوسية).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

منفصلتين، بل بوسيلة واحدة هي الإيمان العامل بالمحبة، أو بالحري الإيمان الحقيقي دون سواه – والوحي بقوله هذا قد فصل أيضاً بين الإيمان الحقيقي وبين الإيمان الأسمى، بفاصل واضح كل الوضوح، لأن عدداً كبيراً من المؤمنين بالاسم يعملون أعمالاً صالحة بدافع المصلحة الشخصية، كالحصول (حسب اعتقادهم) على ثواب الله وتجنب عقابه. لكن المؤمنين الحقيقيين وحدهم هم الذين يعملون هذه الأعمال بدافع المحبة لله فحسب، أي ليس طمعاً في ثواب أو خوفاً من عقاب – والأعمال المذكورة هي في الواقع أعمال الإيمان التي حرضنا الرسول عليها (1 تسالونيكي 1: 3) والتي تستحق وحدها أن تدعى الأعمال الصالحة، كما أنها هي الأعمال التي سبق الله فأعدها لنا وقد خلقنا في المسيح يسوع مرة ثانية لأجل السلوك فيها (أفسس 2: 10)

11- والحق إن أشهر رجال الدين بين القائلين "بأن الخلاص يكون بالإيمان والأعمال"، يعرفون أن الخلاص هو بكفارة المسيح وحدها، وأننا نحصل عليه بالتوبة والإيمان فحسب، كما ذكرنا. غير أنهم ينقسمون فيما بينهم إلى فريقين:

فيقول المنتمون إلى الفريق الأول "إن المسيح وفى بذاته حقوق العدل الإلهي وفاءً كاملاً، وقدم نفسه كفارة خلاصية أبدية، ولم يبق على الإنسان إلا أن ينال الخلاص بالتوبة والإيمان". كما يقولون "إن التبرير هو نعمة مجانية يمنحها الله للإنسان. بها تغفر جميع خطاياه ويحسب باراً وقديساً، كأنه لم يخطئ في حياته على الإطلاق. وهذا التبرير يمنح له. لا لبر فعله بنفسه، بل بواسطة بر الفادي يسوع المسيح إلهنا" – وقولهم هذا يتفق مع الحق الإلهي كل الاتفاق، ولو اقتصروا عليه لما كان هناك مجال

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

للاعتراض عليهم. غير أنهم يقولون بعد ذلك "إن الإنسان الخاطئ لا يتبرر وينال الخلاص بالمسيح بواسطة التوبة والإيمان فقط، بل وأيضاً بواسطة حفظ وصايا الله والقيام بالأعمال الصالحة" (الدين المسيحي للمرحلة الثانوية ص 56، وأسرار الكنيسة السبعة ص 146 – 148). وبذلك نقضوا ما قالوه من قبل، لأن التبرير لا يكون مجاناً بواسطة كفارة المسيح وفي الوقت نفسه يكون بواسطة الأعمال الصالحة، إذ أنه في الحالة الأولى يكون هبة وفي الثانية يكون أجرة إلى حد ما، والهبة والأجرة شيئان متعارضان. وطبعاً لم يلجأ هؤلاء الأشخاص إلى هذا الاستدراك إلا لخوفهم من الانحراف عن التعليم العام للكنيسة (أو بالحري للطائفة[1] التي ينتمون إليها، غير عالمين أن كل تعليم يتعارض مع الكتاب المقدس، يكون من أقوال الناس وليس من أقوال الله، ومن ثم يجب ألا يؤخذ به على الإطلاق، مهما كانت مكانة الذين نادوا به.

أما المنتمون إلى الفريق الثاني فيتمسكون بأقوال الله بغض النظر عن التعليم السابق ذكره، ولذلك يقولون بصراحة تامة: إن "الإيمان يؤدي إلى السعادة الحقة، أي الإيمان بيسوع المسيح مصلوباً"، و "إن الإيمان هو أعظم هبة منحت لنا، لأن به نحصل على الخلاص من عبودية الخطية والموت" (حياة الصلاة الأرثوذكسية ص 29/ 239). وإنه "كما أن مجرد النظر إلى الحية النحاسية كان يعطي الحياة لمن هم على حافة الموت، هكذا مجرد الإيمان بالمسيح يعطي الحياة الأبدية"، و "إن من يؤمن بالمسيح المسحوق على الصليب، فإنه من تلك اللحظة (أي لحظة الإيمان به) ينتقل من الموت

[1] – لأن الكنيسة (كما يتضح من الكتاب المقدس) هي جماعة المؤمنين الحقيقيين في كل العالم.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

ويتمتع بالحياة" (كتاب الصليب في جميع الأديان، للواعظ الأرثوذكسي يسي منصور، ص 10 و 25). و "إن المجهودات الجبارة (أو بالحري أعمال الزهد والتقشف وغيرها) تزيد الأمور (الخاصة الخلاص) تعقيداً، ولذلك يجب أن نهدئ أنفسنا (أو بالحري نكف عن مجهوداتنا هذه)[1]، ونقبل البر الذي في المسيح، أو بالحري الذي عمله المسيح لنا" (كتاب مخلصون ومحفوظون تعريب القمص مرقس داود ص 25). كما يقولون في منتجات الترانيم للقمص إبراهيم لوقا – ص 122، ص 128) ما يأتي: -

لي الفداء لي السرور لي السلام الكامل

بذبيحة الغفور لي الخلاص الشامل

و

[1] – أما القول (بأن ها المبدا يدعو المؤمنين إلى الكسل وعدم الجهاد، ومن ثم فهو غير صحيح) فلا نصيب له من الصواب. لأن الخلاص من دينونة الخطية هو بعمل الله وحده لأجلنا، وليس بعملنا نحن مع الله. فالمسيح وحده هو الذي صلب، وهو وحده الذي تحمل قصاص خطايانا وما علينا نحن إلا أن نقبل فداءه الكريم هبة مجانية بالإيمان. ولإيضاح هذه الحقيقية نقول إذا اشترك صانع جاهل مع صانع ماهر في عمل لا يستطيع القيام به إلا الثاني، فهل يؤدي ذلك إلى إتقان العمل المذكور أو سرعة إنجازه؟ طبعاً كلا. وهكذا الحال تماماً إزاء الخلاص من دينونة خطايانا، ومن ثم يجب ألا نتظاهر بالحكمة والفهم ونظن أنه يمكن أن ننسج خيطاً في سبيل هذا الخلاص.

أما مجال الجهاد، فهو في الانتصار على الخطية التي تثور في نفوسنا والتي نتعرض لها أثناء السير في العالم الحاضر، لأن النصرة عليها تتوقف على طاعتنا نحن لله ووقوفنا بجانبه ضد الخطية، ونحن حاملون سلاحه الكامل في كل حين (أفسس 6: 10 – 20)

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

أيها الساعي لأن تدرك البرا ثق ففادي الناس قد تمم الأمرا
صالح الأعمال ذا ثمر الإيمان لازم لكن ما به غفران
إنما أعمالنا كلها أقذار ما بها تبر إذا صفيت بالنار
قد قضى ديني كله الحمل حينما مات لذا قال قد كمل

12- مما تقدم يتضح لنا بدليل ليس بعده دليل أن الخلاص هو هبة مجانية من الله على أساس كفارة المسيح، ولذلك فإننا نحصل عليه ليس بالإيمان والأعمال معاً، بل بالإيمان وحده (أو بالحري بالإيمان الحقيقي وحده)، وهذا الاعتقاد فضلاً عن أنه وحي الله الذي يجب التمسك به بغض النظر عن أي اعتبار آخر، فهو يعظم نعمة الله التي تستحق وحدها كل تعظيم وإكرام، ويبعث إلى نفوسنا بكل سلام واطمئنان، ويملؤها بكل شكر وحمد لله. كما يفتح المجال أمامنا للشركة الحقيقية مع الله دون تردد أو وجل، الأمر الذي يعود علنيا بأعظم الفوائد الروحية.

أما القول بأن الخلاص هو بالإيمان والأعمال، ففضلاً عن أنه ليس له أساس في الكتاب المقدس، الأمر الذي لا يدع مجالاً للتمسك به (أي بهذا القول)، فهو يضع أعمال الإنسان الخاطئ المملوءة بالشوائب والنقائص جنباً إلى جنب مع كفارة المسيح (التي وفت وحدها كل مطالب عدالة الله التي لا حد لها، إلى أبد الآباد) الأمر الذي يعتبر أكبر إهانة لهذه الكفارة. كما يحرم النفس من حياة الفرح والاطمئنان والشكر والحمد لله، ويدعها تعيش في حزن وقلق طوال حياتها على الأرض من جهة الأبدية، وهذا يعوق تقدمها في الحياة الروحية كثيراً.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

أما عن الدعوى [بأن "الخلاص بالإيمان" يجعل الخلاص بالإيحاء السيكولوجي ليس إلا] فنقول: فضلاً عن أن الوحي الإلهي هو الذي أعلن لنا أن الخلاص يكون بالإيمان أو بالحري الإيمان الحقيقي، الأمر الذي لا يدع مجالاً لهذه الدعوى، فهناك فرق شاسع بين الإيمان وبين الإيحاء السيكولوجي، فالثاني هو الاعتماد على قوة النفس، أما الأول فهو الاعتماد على قوة الله، ولذلك فإن الإيحاء السيكولوجي أثره محدود، أما الإيمان فلا حد لآثاره، لأنه لا حد لقدرة الله. ولذلك كان المسيح لا يطلب إلا الإيمان الحقيقي من راغبي الخلاص والشفاء معاً (اقرأ مثلاً يوحنا 3: 18، 6: 4، 11: 25 ومرقس 6: 6 ومتى 17: 20).

ومن ثم ليس هناك أي مبرر كتابي أو اختباري أو منطقي أو مبرر آخر مهما كان نوعه يؤيد القول "إن الخلاص من دينونة الخطية هو بالإيمان والأعمال" على الإطلاق.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008